توزيع مكتبة الناصرة (النور سابقاً)
كاتدرائية القديس يوسف
العلوية ـ بغداد

$5

عة ديانا هـ: ٨٨٧٣٦٣٥
حيف معمل سمير هـ: ٨٨٧٧٥٩٧

السعر: ١٧٥٠ فلساً

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ
ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris
Beth Mardutho Library
The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܘܪܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠܐ ܒܝܬ ܕܝ̈ܢܐ
ܘܕܚܝܠܐ ܡܢ ܒܢ̈ܝ ܗܝܟܠܐ ܘܚܪܡܐ ܕܢܣܒ ܢܟܠ ܐܘ
ܠܟܠ ܠܗ ܫܒܩܐ ܠܐ ܢܣܒ ܢܗܘܐ ܠܗ ܫܒܩܐ ܥܕܡܐ
ܠܡܦܢܝܘܗܝ ܐܡܝܢ ܕܢܦܩ ܠܗ ܠܚܪܡܐ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

ماذا اعرف عن

إيماني المسيحي

اعداد الأبوين
البير ابونا الكرملي
يوسف عتيشا الدومنيكي

بغداد - ١٩٨٧

مقتبَس من كتاب

PAUL POUPARD
- La Foi catholique
Presses Universitaires de France
Paris - 1982

المقدمـــة

ان المسيحي مؤمن. انـه رجـل ايمـان. فهـو يؤمن بالله كمـا أوحى به يسوع المسيح وتعرّفه اياه الكنيسة في استمرارية تقليدها المقدس.

ان في عصـرنـا انـاسـاً كثيـرين ليسـوا كاثـوليكيين ولا مسيحيين ولا مؤمنين، وكثيـرين ايضـا يبحثون عن الحقيقة. ويحق لجميعهم ان يعرفوا ما هو ايمان الكنيسة الجامعة.

لذا فان هذا الكتاب، الذي يُضاف الى كتب اخرى كثيرة مماثلة، ليس كتـاب تعليم مسيحي، ولا بحثـا جدليـا، ولا شهـادة شخصية، بل هو عرض للايمـان موجَّـه الى جميـع الذين يبحثون عن معرفة ايمان الكنيسة الجامعة، مؤمنين كانوا ام غير مؤمنين.

فالجميع سيجدون فيه جوابا على هذا السؤال: ما الايمان؟ كما انهم سيجـدون فيـه دور العقـل والحيـاة في الايمـان، مع شرح لقـانـون الايمان القديم الصادر عن مجمعي نيقية (٣٢٥) والقسطنطينية (٣٨١)، يتبعه احدث اقـرار ايمـان الكنيسـة، اعلنـه البابـا الراحل بولس السادس، غداة المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، سنة ١٩٦٨.

وتأتي في الكتــاب شروح اخـرى تجيب على اسئلة جديـدة. الا ان الايمـان الـذي يملأ الكتـاب كله هو هو نفسه: الايمان بيسوع المسيح، ابن الله الحي، مخلص الناس اجمعين.

وبعـد كل موضـوع رئيس ، أضفنا صفحةً مؤطَّرة تتضمن عرضا سريعا لمـا جاء في متن المـوضـوع ، واسئلة موجَّهـة الى القـراء الاحبـاء تساعدهم لتعميق ايمـانهم وللبلوغ الى مزيـد من الـوعي في حيـاتهم الايمانية اليومية . واملنـا ان تثيـر هذه الاسئلة في نفـوس القرّاء تساؤلات عديدة تفضي بهم الى البحث والتعميق والى عدم الرضى بحياة ايمانية سطحية او تقليدية . . .

قد يبدو الكتاب عسيرا للهضم . الا انه عرض واضح ووجيز، يتطلب قراءة هادئـة وبطيئـة ، لكي ندع هذه الاقـوال تنـزل قطـرة فقطـرة على عقولنا وقلوبنـا ، فتـدفعنا الى التفكير والعيش والعمل بمقتضى ايماننا ، حتى يتجسد هذا الايمان في حياتنا واعمالنا ومواقفنا كلها . . .

الفصل الاول

ما الأيمان؟

«اؤمن» : فعل أصيل ملزم ، يقوم به شخص اذ يضع ثقته وايمانه في الكلمة والشهادة اللتين يدلي بهما شخص آخر. انني اؤمن : ليس بمعنى غير شخصي وبشيء من الارتياب ، كما لو قلت : اعتقد ان السماء ستمطر قريبا ، او اظن ان الشخص الفلاني سيأتي ، وذلك بمعنى انني في الواقع لست متأكدا من أن ما اقوله سيكون .

وعلى العكس من ذلك ، لو قلت : اني اصدقك ، فقولي هذا فيه تأكيد لا مناص منه ولا تهرب ، لاجل الثقة الوطيدة التي اضعها في هذا الشخص وفي ما يقوله .

وحينما يعلن المؤمن قانون ايمانه في الكنيسة : اؤمن باله واحد . . . فانه يصرح بثلاثة اشياء متكاملة :

- اصدق الله
- اثق به
- اؤمن بكل ما يقوله

وبتعبير آخر : انني اثق به ملء الثقة ، واقبل كل ما يقوله لي اويطلبه مني ، واستسلم اليه دون قيد ولا شرط .

١ ـ الشهادة

ولكن الله غير منظور. فكيف السبيل الى الايمان به؟ الا ان هذا الاله غير المنظور قد صار منظورا للمسيحي بواسطة الكلمة المتجسد: «والكلمة صار جسدا وحلّ فينا» (يوحنا ١/١٤). انه سر الميلاد، سر التجسد. ويقول الرسل: لقد رأته عيوننا، ولمسته ايادينا، وسمعته آذاننا، ومشينا معه على دروب فلسطين، وقاسمناه الخبز... لذا فاننا نشهد له.

والمسيحي انسان يؤمن بما صرح به هؤلاء الرسل ويثق بهم، لانهم ماتوا في سبيل هذه الشهادة. ويقول الفيلسوف الفرنسي باسكال: «انني اصدّق الشهود الذين ذُبحوا في سبيل ايمانهم...».

ويحتلّ كل مسيحي مكانه في هذه السلسلة غير المنقطعة من الشهادات، منذ الحلقة المؤسسة، اي المسيح الذي ظهر في جسدنا ومات وقام واعلن: «انا الحق». انه كلام مدهش اطلقه انسان كان على وعي بأنه ابن الله، وبأنه اله في وحدة لا تقبل الانفكاك مع ابيه في روح المحبة.

٢ ـ نتعلم حياة الألفة مع الله

بحسب هذا المنظور، يعني الايمان الاستسلام الى هذه الشهادة النابعة من فم الابن، الذي نقل الينا ما اودعه الآب اياه. فمعه نتعلم ان نحيا في ألفة الله، لان الايمان يتعلق بالله دوما، وبسرّه، وبغنى حياته الداخلية الفائض، وبحبه اللامتناهي للبشر.

ففي قانون الايمان، يرجع كل شيء الى سر الله. وهذا لا يعني ان ما سوى ذلك غير مفيد، او انه لا يستحق الاهتمام، بل انه موّجه نحو هذا الامر الجوهري. وقد صرح المجمع الفاتيكاني الثاني ان ثمة نواة اساسية لايماننا، نضمّ اليها بثلاثة انواع متكاملة: تقليد الايمان، شركة الايمان، واسرار الايمان.

٣ ـ تقليد الايمان

ان تقليد الايمان هو الايمان الذي يتناقل من جيل الى جيل، منذ

تلاميذ المسيح الاوائل وامه العذراء مريم والرسل. اجل لقد تناقل الايمان، كما يتناقل العَلَم بين العدّائين، او تتناقل الشعلة في الالعاب الاولمبية، اذ يمر هذا النور من يد الى يد اخرى. فالايمان يشعّ وينتشر من فم الى اذن، ومن قلب الى قلب.

ان الناس هم الذين ينقلون الايمان، في وسط جماعات حيّة يشكّل مجموعها ما نسميه «الكنيسة». ويقول القديس بولس ان المسيحيين جميعهم يتقاسمون الايمان ذاته: رب واحد، ايمان واحد، معمودية واحدة. وفي زماننا حيث كثرت الفرق والانقسامات، كيف لا نشير بحنين الى تلك الازمنة الاولى لنشأة الكنيسة حيث كان الجميع لا يؤلفون الا قلبا واحدا ونفسا واحدة، في شركة الايمان مع الرسل، وبواسطتهم مع المسيح القائم والحي ابدا. فتقليد الايمان هو ايضا الشركة في الايمان. وما قانون الايمان الا وسيلة للحفاظ على هذه الشركة بالاتحاد مع الرعاة المسؤولين: الاساقفة حول الاول بينهم، وهو اسقف روما، خليفة بطرس، الذي تلقى من المسيح نفسه مهمة تثبيت اخوته في الايمان: ان الايمان خير مقتَسَم.

٤ ـ الاحتفال بالايمان

ان هذه الشركة في الايمان تبلغ ذروتها في الاحتفال بسر الايمان الأسمى الذي هو سر الاوخارستيا. «عظيم هو سر الايمان!» هذا هو الهتاف الذي يرفعه المسيحيون في قلب الاحتفال بالاوخارستيا، بعد ان يكون الخبز والخمر قد تقدسا بخدمة الكاهن فاصبحا جسد يسوع المسيح ودمَه حقا.

لذا فان الذين يحيون في شركة الايمان قد تلقوا اسم «المؤمنين» الجميل: انهم امناء لتقليد الايمان الذي تلقوه من الرسل، وامناء لشركة الايمان في كنيسة المسيح، وامناء للاحتفال بالاسرار التي تغذّي الايمان وتنعشه.

فأن يدعى المسيحي مؤمنا (او امينا)، فذلك اعتراف بكونه شخصاً ملتزِماً. إنه انسان يلتزم بكليته بما يؤمن به وبالسير بامانة على خطى المسيح الذي به يؤمن.

٥ ـ الايمان حرّ

واذا سبق المسيحي آخرون، فهو ايضا شخص ملتزم بايمانه بملء الحرية. لان الايمان مرادف للحرية. اليس واضحا ما قاله يسوع في الانجيل: «هلمّ اتبعني»؟ ويردف الانجيلي مرقس بقوله: «وتركوا كل شيء وتبعوه» (مر ١/١٧-١٨). اوعلى العكس من ذلك ما حدث لذلك الشاب الغني: «فانطلق حزينا، لانه كان ذا مال كثير» (مر ١٠/٢٢).

وقد خصص المجمع الفاتيكاني الثاني بموضوع الحرية الدينية وثيقةً برمتها، نُشرتَ في ٧ كانون الاول سنة ١٩٦٥. ويدور التأكيد الاساسي فيها على انه لا احد يُضطر الى الايمان، كما انه لا احد يمكن ان يُمنَع من الايمان. فان الامريتعلق بكرامة الشخص البشري وبالحق الاساسي الذي لا يتنازل عنه الانسان وكل جماعة.

فان الايمان هو الحب في نهاية الامر. والحب حركة عميقة في الكيان تنفي بطبيعتها كل اكراه. فعليَّ اذن ان ازن ما هو للايمان وما هو ضده، وان اقرر كانسان له ملء الحرية والمسؤولية الواعية.

٦ ـ للايمان اسباب يرتكز عليها

يقول القديس توما اللاهوتي بحق، ويوافقه التقليد المسيحي كله على ذلك، انه ما من شخص كان يؤمن لولم يكن مقتنعا بوجوب الايمان، وبأن لديه ليس اسباب وجيهة للايمان حسب، بل نوع من الحاجة الداخلية التي لا تُقهَر الى الايمان. وكان من شأن كل مسيحي بالتأكيد ان يستطيع عرض ايمانه وشرحه للذين يطلبون اليه لماذا يؤمن. الا ان كثيرين يعجزون عن ذلك، لانهم في الغالب لا يجدون الكلمات للتعبير عن ايمانهم. وليس من يعجب من ذلك اذا ما مرّ بخبرة الحب: كيف السبيل الى اعطاء الدوافع الحقيقية الى الحب؟

لكل مسيحي دوافع خاصة شخصية تدعوه الى الايمان. انها اسباب شخصية، ولا شك، ولكن بوسع كل واحد منا ان يتحقق منها بهذه المعايير:

تعليم الكنيسة، شهادة المسيحيين، استمرارية التقليد المسيحي عبر الاجيال الطويلة، مضمون الانجيل، واخيرا نعمة المسيح التي يقتبلها الانسان في الروح القدس.

قال يسوع لسمعان بطرس، الذي اعلن ايمانه به واعترف بكونه المسيح ابن الله: «طوبى لك، فليس اللحم والدم كشفا لك هذا، بل ابي الذي في السموات» (متى ١٦/١٧).

كان لبطرس، ولا شك، اسباب للايمان، شأنه في ذلك شأن كل مسيحي، فانه كان قد تبع يسوع، واصغى الى تعليمه، وقاسمه الحياة، ورأى اعاجيبه. ان هذه «العلامات» تنعكس على عقل الانسان الحر لكي يفهم. ولكنه يبقى حرا. وهذا هو سر الايمان الذي يحيّر العقول. فكثير من اليهود رأوا يسوع يقيم صديقه لعازر من القبر، حيث كان جسده شرع يتفسخ. ومع هذا كله، فقد وجد البعض في ذلك ذريعة جديدة للقضاء عليه، عوض الايمان به. هذا هو سر حرية الانسان، وهو يظهر جيدا ان الايمان ليس امرا بديهيا يتقاسمه الكل، مع كونه يقينا ثابتا. وبكلمة اخرى، انه من الصواب ان نؤمن، ومع ذلك يبقى الايمان غير خاضع لمنطق العقل.

٧ ـ الايمان بالمسيح

قال يسوع لرسله: «الذي يؤمن فذاك يخلص» (انظر متى ٢٤/١٣). وكيف يؤمن المرء ان لم يكن مقتنعا من حاجته الى الخلاص؛ ان واقعية الايمان تقتضي واقعية الخلاص، والا لكان الايمان مجرّد كلمات جوفاء. وجاء تعليم المسيح بهذا الشأن واضحا كل الوضوح. وقد نقله الرسل والقديس بولس على علاته، ودون ان يحاولوا تكييفه لكي يلائم الظروف الآنية والمفاهيم الانسانية ليصبح اكثر قبولا. فان الامر يتعلق بدخول الانسان في شركة حقيقية مع الله، هذا الانسان الخاطىء والخاضع للموت، مع هذا الاله الذي هو خالقه والذي كله محبة ورحمة.

ولا يتردد القديس بطرس في القول بصراحة: «انه ما من اسم آخر تحت السماء أطلق على احد الناس ننال به الخلاص» (اعمال ٤/١٢). ويكمل ذلك مؤلف الرسالة الى العبرانيين بقوله: «ان الذي يتقرب الى الله لابد له ان يؤمن بانه موجود، وانه يجازي الذين يبتغونه» (عبر ١١/٦). هذه هي نواة الايمان الاساسية. فلا طريق آخر خارجا عن ذاك الذي قال: «انا الطريق والحق والحياة» (يوحنا ١٦/٦)، «من رآني رأى الآب» (يوحنا ١٤/٩). فله الحياة في ذاته.

ان الايمان، لتلميذ المسيح الذي يدعى لهذا السبب مسيحيا، هو الايمان اساسا بالمسيح والايمان برسالته، اي ان المسيح هوذاك الذي ارسله الآب الذي ولده، وان الابن بدوره يرسل الينا روحه القدوس بآلامه وموته وقيامته، وبالاسرار التي تحققها لنا.

٨ ـ اقرار الايمان

هذا هو الاعلان المسيحي عن الايمان الذي كان آباؤنا يدعونه الاقرار بالايمان، والذي يطيب لنا ان نسميه شهادة الايمان. وكلمة الشهادة هذه مشتقة من اصلها اليوناني: الاستشهاد. فالشاهد ينطلق حتى النهاية في قناعته، فيرضى بان يضحّي بحياته الارضية، لان هذا الايمان يوليه اليقين بانه ينتقل عبر هذه التضحية الى الحياة الابدية في المسيح.

لذا فالايمان من شأنه ان يُشهد به. وهذا ما يعرفه علماء النفس الاجتماعيون. فالحب، هذا السر الخفي، بحاجة الى ان يعرف. والشعلة تختنق ما لم تنتقل وهي تحترق.

وهذا ما تذكّرنا به بقساوة خبرة هذه العقود الاخيرة. فان ايمانا لا يجسر على التعبير عن ذاته ويلجأ الى العيّ (الصمت)، ينتهي به الامر الى الاختناق والى الضياع في النسيان. لذلك يسرّ للمسيحي ان يعلن ايمانه في وسط الجماعة التي يعيش فيها، ليس لكي ينصهر في ايمان مجهول، بل لكي يتقوى في ايمان مقتسم. حسن ان تنشد الجماهير المؤمنة قانون ايمانها،

بنشوة الفرح والعيد، كما نراها في افريقيا وامريكا وآسيا واوربا، وهي تحيط بالاب الاقدس اثناء زياراته الراعوية. انما كل واحد، ابتداء من البابا، يعلن ايمانه الشخصي، وهو ايمان تتقاسمه الكنيسة كلها من خلال الزمان والمكان، وهو ايمان الآباء وايمان الاخوة جميعهم مدى الاجيال.

٩ ـ نقل الايمان

ان ثمة ازمنة مكثّفة وقوية تترك طابعها العميق في اقرار الايمان هذا، ناهيك عن الاستشهاد الذي هو التعبير الاسمى والحاسم له. وهناك ايضا اعلان قانون الايمان الذي يردده الموعوظون عند العماد، واقرار الايمان في تلاوة قانون الايمان اثناء الاحتفال بالاوخارستيا في يوم الرب.

ان اقرار الايمان هذا، هو في الوقت نفسه نقل الايمان، يتم داخل الاسرة المسيحية وفي المراكز المسيحية حيث يجري تثقيف الصغار. وكيف لا يشارك الآباء والامهات والمربون تلقائيا في مقاسمة ما هو في صميم حياتهم واعماق قلوبهم؟ اما الفتى المراهق فبوسعه ان يتقبل هذا السر بمعونة نعمة الله، او ان يبقى حياله غير مكترث، او ان يرفضه. وهذا هو سر حريتنا، كما قلنا سابقا، وهو ضعفنا وعظمتنا معا، كما اشار الى ذلك الفيلسوف باسكال باسلوبه الرائع: «الانسان يتجاوز الانسان بصورة غير محدودة».

يقال عن المسيحيين ان «لهم» الايمان، وعن غيرهم انهم «فقدوه». ان في هذا التعبير التباسا مؤسفاً. فالأيمان ليس غرضا يكتسبه المرء تارة، ويفقده بطيش تارة اخرى. وقد كتب الفيلسوف كبرييل مارسيل قائلا: يجب التمييز بين الكينونة والتملك. وليس ثمة تملّك لا يعود في نهاية الامر الى الكينونة. فالايمان هو من نظام الكيان، وليس من نظام التملّك، شأنه في ذلك شأن الحب. فاذا ما احب المرء شخصا، فهو بذلك لا يضيف شيئا الى ملكيته، بل على العكس من ذلك يتخلى عن ذاته ليستسلم الى آخر. كذا الشأن مع الايمان. وكان من شأن باسكان ان يقول: انه من النظام عينه، ليس نظام التملك ولا نظام السلطة، بل نظام الواجب الذي لا يُردّ. فبدون الايمان ليست الحياة جديرة بان تُعاش.

١٠ ـ تتغيّر الحياة كلها

متى استحوذ الايمان على قلب المؤمن، فهو يغيّر حياته بعمق، وان لم يتغير في الظاهر شيء. فالشمس حينما ترسل ضوءها الى الكائنات، تبقى هذه كما هي في الظاهر، ولكن مفعول النور يتغلغل في اعماقها فيغيرها جذريا.

فالحياة في اعماقها تتغير، وتركيب كيان الشخص يترسخ بالايمان بذاك الذي اجتاز الموت وهو حيّ ابداً ومصدر الحياة. انه مصدر السلام ايضا والطمأنينة بهذا التأكيد المذهل الذي اطلقه من اعلى الصليب: «ستكون اليوم معي في الفردوس» (لوقا ٢٣/ ٤٣). وكان الرجل الذي حظي بهذا الوعد لصاً مجرماً ولكنه نادم. فمن ذا الذي يستطيع ان ييأس بعد الآن؟ اليس لنا من الآن، وعلى هذه الارض، شيء من الفردوس ونحن نحظى بموهبة الغفران الذي يرفع عن كواهلنا ثقل الخطيئة ويعيد الينا براءة الطفولة التي ربما فقدناها؟

كان اليهود يستمعون الى يسوع، غير مصدّقين ادعاءه بغفران الخطايا: «من يقدر ان يغفر الخطايا الا الله وحده؟» ولكن يسوع ردّ على احتجاجهم بقوله: «أيّما أيسر؟ ان يُقال: غُفرت خطاياك؟ ام ان يُقال: قمْ فامشِ؟» وقطع يسوع عليهم صمتهم الثقيل، فوجه كلامه الى المريض المسكين: «فلكي تعلموا ان ابن الانسان له في الارض سلطان يغفر به الخطايا، اقول لك: قم فاحمل سريرك واذهب الى بيتك». ثم يضيف شاهد هذا الحدث المدهش هذه الكلمات البسيطة التي لا تحتاج الى تعليق: «فقام من وقته بمرأى منهم وحمل ما كان مضطجعا عليه ومضى الى بيته وهو يمجّد الله» (لوقا/ ٥/ ٢١-٢٥).

فكيف لا تتغير الحياة بكاملها تغييراً جذريا بما تحدثه فيها رحمة الله المدهشة: «اني اقول لك: غفرت لك خطاياك، اذهب بسلام، ايمانك خلّصك»؟ فالحياة كلها تتغير، والانسان يتجدد في طاقاته الحيوية وفي كيانه العميق. فليس له شيء اكثر، لكنه قد صار افضل. وماذا اقول؟ لقد صار في

ملئه، وهو على يقين من الآن بأنه سيحيا ما وراء الموت، وانه سيجد جميع الذين يحبهم، وسيحيا محبة لن تعتورها عقبات ولن تكون لها نهاية.

١١ ـ مثال مريم

فكرت مريم في سرها وقالت: أفي حلم انا ام في اليقظة؟ «كيف يكون هذا وانا لا اعرف رجلا؟» قالتها مريم في براءتها الرائعة واعتصامها بنذر بتوليتها. فاجابها الملاك: «الروح القدس يحل عليك، وقدرة العلي تظللك، لذلك يكون المولود منك قدوسا وابن الله يدعى. وها ان نسيبتك اليصابات قد حبلت هي ايضا بابن في شيخوختها، وهذا هو الشهر السادس لتلك التي تدعى عاقراً. فما من شيء يعجز الله». فقالت مريم: «انا امة الرب، فليكن لي بحسب قولك» (لوقا ١/ ٣٤ـ٣٨).

كيف لا نشارك الرجاء الهادىء الذي غمر نفس لوقا الذي تلقى اسرار مريم في سنها المتقدمة، تلك الام التي كانت تتأمل الاشياء كلها في قلبها الطاهر، وهي اذ تنقلها الينا عن طريق لوقا الانجيلي، تشركنا في الوقت عينه في انذهالها امام عظائم الله؟ فقد آمنت مريم منذ اللحظة الاولى، وظلت تؤمن منذ فقر المذود حتى وقوفها منهوكة القوى ازاء ابنها المصلوب فوق الجلجلة. لقد آمنت، ومنذئذ تجسد الكلمة في احشائها، وقد غذى الرجاء ايمانها الذي أنمى فيها المحبة.

لا ريب ان حياتها لم تخلُ من المحن. واذا كانت أم المحبة الجميلة والرجاء الواثق، فهي ايضا ام الاحزان السبعة، وقد طعن السيف قلبها الوالدي. لكن غريزة ايمانها كانت الاقوى، كما كان ايمان ابراهيم الذي تخلى عن ابن المواعيد دون ان يستطيع ان يفهم كيف ان شعباً من المؤمنين سيخرج من تلك الليلة الخالية من النجوم. ولكن كل شيء نعمة للذين يحبون الله ويثقون به ثقة مطلقة، فيقبلون التخلي عن كل الضمانات البشرية ليستسلموا الى الحب الطاهر.

١٢ - «لا تخافوا»

لا يخلو الايمان من التساؤلات. ومن منا لا يترنح مثل بطرس فوق المياه الهائجة في بحيرة طبرية، قبل ان يضع يده المرتجفة في يد يسوع: «لماذا شككت، يا قليل الايمان؟» (متى ١٤/ ٣١). فسكنت الريح وهدأ البحر. «لا تخافوا، افتحوا الابواب على مصاريعها امام المسيح»: هذه كلمات اطلقها بعد الفي سنة البابا يوحنا بولس الثاني، هذا البولوني من كراكوفيا الذي دُعي ليكون خليفةً لسمعان بطرس الجليلي. وكلاهما اصبحا رومانيين، دون ان يكون لهما ارادة في ذلك، شأن الكثيرين منا الذين بوسعهم ان يرددوا قول الشاعر: «لقد وقعنا في شبكة بطرس، لان يسوع هو الذي مدّها الينا.»

فالايمان لا ينتشر بطريقة سحرية، ولا يتفشى عن طريق العدوى، ولا يستشري مثل الوباء. ذلك لانه، كما قلنا، فعل حرّ وانتماء ارادي الى المسيح، صادر عن اصغاء واثق الى شهادة: انه سر الخدمة المودعة الى اناس مساكين، تعمل كلمة الله القديرة من خلالهم. وكما يلاحظ القديس بولس الرسول بحكمته الصائبة: «كيف يدعون من لم يؤمنوا به؟ وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به؟ وكيف يسمعون به من غير مبشّر؟ وكيف يبشرون ان لم يُرسلوا؟» ثم اضاف الى ذلك بتأثر ملحوظ قائلاً: «ما احسن اقدام الذين يبشرون!» (روم ١٠/ ١٤-١٥).

١٣- البشرى السارة

الانجيل بشرى سارة. وكلمة «الانجيل» اسم يوناني مركب من لفظتين: «ايو- اكيليون» اي خبر سار. هذه هي قناعتي، وهذه هي قناعة مئات الملايين من الناس الذين، عبر الزمان والمكان، آمنوا بالانجيل وبهذه البشرى السارة، ومن ثم فقد تغيرت سبلهم، في جميع منعطفات حياتهم.

يا لها من مغامرة! لان الايمان ليس صرخة دون ان تلفظها الشفاه. ان له مضمونا يعبر عنه. ولا يخلو من تأكيدات تطرح مشاكل عويصة على العقل المفكر، وعلى الارادة المتسائلة، وعلى الاحساس الذي ينفر احيانا. لكن

الف صعوبة لا تشكل شكا واحدا، حسب خبرة الكاردينال نيومان. وفي صميم الشك، لا يفتأ المسيحي يكرر الكلام المحرّر الذي فاه به زعيم الرسل والناطق بلسانهم. فبينما ابتعد كثير من التلاميذ عن يسوع، متشككين لدى اعلان الاوخارستيا - وكان ثمة ما يبرر هذا الشك: من يأكل جسدي ويشرب دمي! التفت يسوع الى رسله الاثني عشر الذين كانوا قد تبعوه حتى الان، وسألهم: «افلا تريدون ان تذهبوا انتم ايضا؟» وجاء جواب بطرس الرائع المتفجر من ايمانه البسيط ومن قلبه السخي: «يا رب، الى من نذهب، وكلام الحياة عندك؟» (يوحنا ٦/٦٧-٦٨). . انني لا افهم اكثر من الآخرين، لكني اعلم انك لا تستطيع ان تكذب، وانك تعلم الحقيقة، واكثر من ذلك انك الحقيقة. لذلك فاني استمر في ان اثق بك. هذا هو الايمان. وبالرغم من ان بطرس انكر يسوع في تلك الليلة الظلماء، ليلة الآلام، فستكفي نظرة من يسوع لكي ترجعه الى الندم وتقوده الى الاستشهاد في سبيل الايمان.

١٤ - سر الصلاة

يا لقدرة الايمان! الا انها قدرة لا تأتي من الايمان ذاته، بل تستمد كل شيء، في ضعفها، من قوة الله. انه سر الصلاة. فليس المسيحي انسانا سبقه في هذه الخبرة آخرون حسب، انما هو شخص يرافقه كثيرون في المسيرة. فهو يعلم يقينا انه محبوب. ويعلم ايضا انه في حضور الله في كل الظروف: «اذا اكلتم او شربتم او مهما فعلتم»، كما يقول القديس بولس (راجع ١ قور ١٠/٣١). فما عليه الا الدخول في علاقة مع الله الذي يحبه. وما اروع ما قاله لخوري ارس فلاح بسيط كان يُمضي ساعات طويلة امام القربان. «انظر اليه وهو ينظر اليّ!» فالإيمان هو الحب. ولا حب دون اصغاء ومقاسمة. انه سر الصلاة التي تحوّل الصعوبات، وتبدد الضباب، وتنير الدروب، وتمهّد السبل. وقد قال القديس بولس: «لو كان لي الايمان الكامل انقل به الجبال، ولم تكن لديّ المحبة، فما انا بشيء» (١ قور ١٣/٢).

فالايمان يتفتح طبيعيا في الحب. كما انه ينصبّ في الصلاة. انه مثل

جاذبية طبيعية. وكان القديس يوحنا الصليبي يقول: «ان الايمان يجعلنا نحب الله». اليس الايمان مكلفا بان يجعلنا نحبه؟ بلى، فان هذا هوسبب وجود الايمان.

١٥ ـ الايمان حياة

ان الايمان حياة، ولذلك فهوخاضع لشريعة النمو. ويقول القديس بولس: «لما كنت طفلاً، كنت اتكلم كالطفل، وادرك كالطفل، وافكر كالطفل» (١ قور ١٣/١١). فالبالغ ليس مثل سابق عهده وان ظل هو هو في جوهره. «يا قليلي الايمان» (مرقس ٤/٤٠)، هذا ما قاله يسوع لرسله البالغين الذين كانوا قد تركوا شباكهم وتبعوه، وكانوا صيادين مهرة. ولكن ليس الى درجة لا يشعرون معها بكونهم معرضين للغرق في لجة بحيرة طبرية الهائجة. فالايمان ينمو ويتقوى، ويغتني بنشاط العقل الحر، ويعاش بممارسة الارادة الحرة، وينبسط بمبادرات الرسالة الحرة، ويتغذى بالاقتبال الحر للاسرار المقدسة، ويتقوى عن طريق التأمل في النماذج الحية والجذابة التي يقدمها لنا القديسون، ويزداد بالشوق الى اكتماله في الحياة الابدية. فالمسيحي انسان قد بدأ منذ الان وعلى هذه الارض ان يحيا مع الله في الخفاء. وهو يتوق الى حالة الحياة الابدية التي هي السماء المقتسمة مع جميع القديسين. انه من الآن يشاهد الله في الصلاة الصامتة التي يغذيها بكلمة الله التي تقدمها له الكنيسة امه الحنون.

١٦ ـ هبة الله

اجل، ان الايمان هبة من الله. ويقول القديس بولس في هذا الشأن: «ان الخلاص جاءكم من النعمة وبالايمان. فليس ذلك منكم، بل هو هبة من الله» (افسس ٢/٨-٩). هناك تجربة تراود الانسان دوما ليشرح ايمانه، فيحوله من المعقول الى العقلاني، وان يقلّصه في حدود العقل الحبيبة على قلب الفيلسوف هيكل واتباعه الكثيرين، كما كانت حبيبة على قلوب

الغنوصيين الذين اختلف معهم القديس ايريناوس، اسقف ليون في القرن الثالث. لاشك ان الايمان يحاول طبيعيا ان يفهم، وادراك الايمان ضروري لحياة الايمان. ويمكننا ان نقول مع القديس اوغسطينس: «إفهمْ لتؤمن، وآمِنْ لتفهم». لان وحي الله الحي يتجاوز كل ما يستطيع العقل ان يقوله لنا عنه. وسره لا يعمينا، بل يبهرنا بنوره الساطع. فعلم اللاهوت يولد شرعيا من الايمان وينمي طاقاته الكامنة. لكن التجربة الغنوصية ما تزال تتجدَّد، وهي تحاول حبس الايمان ضمن حدودها الضيقة جدا.

١٧ - روح الايمان

ليس الايمان مجرد رأي، بل هو يقين. فلا ينمو الايمان في تربة النظريات الفكرية، بل في الصلاة. وكان باسكال ذاته يجثو على ركبتيه مصليا قبل ان يكتب «خواطره»، اذ كان يعلم ان الايمان هبة من الله، وليس وليد العقل البشري. ونحن نضيف ان الايمان لا يسيء بشيء الى التفكير.

ان الايمان الذي يتغذى في الصلاة، ويقتات بكلمة الله، ويُدعم بالاسرار المقدسة، هو حياة تظهر بافعال الانسان وتصرفاته كلها التي تكون من وحي روح الايمان. ولنا على ذلك مثال رائع في القديسة جان دارك التي، في وسط محنها، ظلت ثابتة في ايمانها، وعرفت ان تدحض براهين اللاهوتيين الذين حاولوا عبثا ان يحبسوها داخل قياساتهم المنطقية. فقد اعلنت بكل جرأة: «يسوع المسيح والكنيسة واحد. واذا لست في حالة النعمة، فاني اسأل الله ان يمنحني اياها، واذا كنت في حالة النعمة، فاسأله تعالى ان يحفظني فيها». وهناك امثلة اخرى عديدة يقدمها لنا قديسون معاصرون، امثال القديسة تريزة الطفل يسوع في كتابها «اخبار نفس»، والقديس يوحنا بوسكو، والاب شارل دي فوكو، والقديس ماكسميليان كولب الذي قاده الروح الى تقديم ذاته للموت جوعا في معتقل «اوشويتز» عوض رجل رب اسرة. فالقديسون هم معلمونا، وهم بمثابة بوصلات ومنائر وضعهم الله امامنا ليوجهوا مسيرتنا وينيروا درب ايماننا.

اننا بحاجة ماسة الى النور، لان الايمان ليس امرا سهلا ولا شيئا جليا،

الم يقل يسوع في الانجيل، وهو يحذر انذهالنا امام المدّ الصاعد من اللامبالاة ومن امواج الشك، ومن الرفض الصادر عن الالحاد: «متى جاء ابن الانسان، فهل يجد الايمان على الارض؟» (لوقا ١٨/٨).

١٨ ـ الايمان والعلم

منذ نصف قرن، ونحن امام اكتشافات علمية متلاحقة غيّرت جذريا الصورة التي كانت لدينا عن العالم، اشار بيير ترميييه العالم الجيولوجي، الى التفاوت المتزايد بين العالم الذي أفرط في تكبيره، اي هذا الفضاء اللامتناهي الذي تتحرك فيه الكواكب، وبين هذه الارض الصغيرة التي ليس فيها الانسان سوى تراب سريع الزوال سرعان ما يرجع الى اصله الترابي. فما اعجب المشاهد التي تكتشفها الاجهزة التي ترصد الاجرام السماوية، او التي نراها بالمجهر، وتبدو وكأنها لا تمتّ الى العالم المسيحي بصلة. وكان بوسعه ان يضيف اليوم ان اكتشافات سيكولوجية الاعماق والسيكولوجية الاجتماعية والعلوم الانسانية تظهر اقل انتماء الى العالم المسيحي، وتبدو وكأنها تقلّص الانسان وتجعل منه غرضا زائلا بين اغراض اخرى. فكيف السبيل الى الاعتقاد بان مصير الانسان هو الخلود وان الله قد صار انسانا لكي يضمن مستقبله الابدي، ما وراء الموت؟

ومع ذلك، يضيف هذا العالم، اننا متى دخلنا عالم الفكر، بدت الحالة معاكسة تماما، واذا بكل شيء يبدو مسيحيا. اي ان كل شيء يجد نظامه وشرحه في المسيحية اكثر مما في اية فرضية اخرى. ففي منظور المسيحية، تظهر عظمة الانسان الحقيقية بالرغم من صغره وضعفه. فالانسان، هذه القصبة المفكرة، على حد تعبير باسكال، يبدو ضعيفا هزيلا امام الكون الذي يمكن ان يسحقه دون علم منه. لكن الانسان يعلم ذلك. فالفكر فيه يسمو فوق المادة. وهذا يعني، ضد اتباع الفلسفة العلمية، ان العلم ليس ماديا، وان المادية ليست علمية. انه سر الانسان الذي يجد المسيحي مفتاحه في سر الله الذي يخلقه والذي يتجسد ويصبح انسانا

ليخلّصه من الخطيئة والموت، وينبعث من الموت ليقوده معه الى الحياة، مجيبا بذلك الى هذه الامنية الخفية والقوية، امنية المحبّ لحبيبته: «حينما نقول لشخص: اني احبك، فهذا يعني: انت لن تموت» (كبربيل مارسيل). وحينما يكون الله هو الذي يقول لنا ذلك، فله القدرة على تحقيق كلامه. وبهذا المعنى قال الرسول: «لا الموت ولا الحياة... ولا شيء بوسعه ان يفصلنا عن محبة الله لنا في ربنا يسوع المسيح» (روم ٨/٣٨-٣٩). كان بودّي ان الذي احبه يعيش الى الابد. ولكني لا استطيع ان امنعه من ان يموت. اما المسيح فله السلطة ليقيمنا من الموت الزمني للحياة الابدية.

١٩ - نور الايمان

هكذا، بالرغم من الظواهر، تنقلب تجربة الشك الى الايمان العميق بذاك الذي قال عنه القديس يوحنا الرسول في مستهل انجيله انه النور الذي ينير كل انسان آتٍ الى العالم. ويقول القديس اوغسطينس ان هذا النور يضيء اعماق كياننا وينقلنا من العالم الخارجي الى الداخلي، ومن الامور السفلى الى العليا. ان هذا النور يساعدنا لنعرف موقفنا في هذا العالم الذي تغيّرت صورته تغييرا كبيرا والذي ما تزال عظمته الخارقة تسحرنا، وقدرته المظلمة تفزعنا. انه عالم الاجواء، وعالم الكائنات الذي يتحتم علينا ان نُدخله ضمن منظور شامل.

واذا لم تفهم الكنيسة رجال العلم دائما وعلى الفور، واذا تراكمت الخلافات في الماضي، كما جرى الامر امام اكتشافات غاليليو غاليلي، فانها اليوم واعية، وقد نشأ فيها هذا الوعي منذ عهد بيلرمان في القرن السادس عشر، بان مهمة الكتاب المقدس ليست ان يعلمنا سير الفضاء (السماء)، بل كيف نذهب الى السماء. وقد احسن المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني (١٩٦٢-١٩٦٥) اذ اعترف بقيام الحقائق الارضية بذاتها، دون ان تكون مستقلة تماما. فان الكائنات والاشياء تسير حسب نهجها الخاص، وهذا لا يمنعها من ان تكون في يد الله. فان الله هو الذي يعطينا بان نكون ما نحن

عليه، حسب طبيعتنا الخاصة بنا التي يحترمها كاملة. وهذا هو سر حريتنا. اذ بوسعها ان تقاوم ذاك الذي هو مصدرها، ولكنها ايضا، والحمد لله، قادرة ان تعترف به وأن تسجد له.

٢٠ ـ التفكير والصلاة والحب

ان المسيحي رجل صلاة. والصلاة هي التفكير في الله ونحن نحبه. والخطوة الاولى في هذا الطريق هي ان ننذهل امام غنى الخلق وعظائم وجودنا. ويتغذى الايمان بالصلاة التي تتأصل فيه. ويذوي الايمان حينما يؤدي به الامر الى ان يحيا في نوع من اللامبالاة التي تقرض ضمائرنا بنوع صامت. اما الصلاة، فانها لا تقلل من شأن الانسان، بل ترفع شأنه، كما ان تلعثم الطفل الصغير وهو يعبّر عن حبه لابيه وامه يساعده لكي يبلغ ملء انسانيته. فهو يعرف انه وُلد من حبهما المتبادل، ويكتشف بفرح وغبطة ان هذا الحب الذي يبديه لهما ليس الا ختم خصوبتهما الثابت. وينفرد الانسان بين كل الخلائق اذ تستيقظ معرفته لحقائق الكون. وتحدوه هذه الحقائق الى اكتشاف الكائن الاسمى الذي يمنحها الوجود. وهذا يعني ان ما يخص الانسان لا يكون اساسيا الا اذا تمحور في سر الكائن الذي عنه يصدر، وبذلك يتجنب الانسان التمحور على ذاته الذي من شأنه ان يجعله يعبد ذاته، مما يؤدي به الى الدمار والهلاك. اليس هذا ما تعلّمه الفصول الثلاثة الاولى من سفر التكوين التي تحدّثنا عن المعنى العميق لسر الخطيئة الاصلية، وبدون هذا السر، يبدو كل شيء لغزاً يصعب حلّه.

٢١ ـ الانسان، المسيح، الله

ان الوحي الذي أتى به يسوع موجّه كله الى الانسان. ولكن الانسان، على حد تعبير القديس بولس، هو للمسيح، والمسيح لله (راجع ١ قور ٤/٥). هذا هو تعليم الكنيسة كله، وقد تأوّن في عصرنا في ما ورد في المجمع الفاتيكاني الثاني، ابتداءً من «الدستور الراعوي حول الكنيسة في

عالم اليوم»، وانتهاء «بالدستور العقائدي في الكنيسة». اجل ان الكنيسة في عالم اليوم هي كنيسة يسوع المسيح نور الامم.

وقد ذكرنا البابا بولس السادس، حينما افتتح الجلسة الثانية من المجمع في خريف عام ١٩٦٣، ان المسيح هو الطريق والحق والحياة. فهو البداية والطريق والنهاية، منه نأتي وبه نسير ونحوه نذهب. وهذا يعني ان الايمان يبدأ اولا بالاصغاء وبالتغذي باقوال الكلمة المتجسد. واذا ما ارتقينا في الوجود من هذا العالم نحو الله، كما اشرنا الى ذلك اعلاه، فان اعمق حركة تكون معكوسة، اذ تنطلق من الدستور «في الكنيسة» الى الدستور «حول الكنيسة في عالم اليوم». وهكذا فان مهمة المسيحي تتوقف عند ملتقى الزمان بالابدية. فالابدي ذاته جسدي ولا يحق لنا ان نهمل أياً من الطرفين، بل يجب علينا ان نضع انفسنا في ملتقى الطرفين الاليم والخصب، ملتقى المسيح ذاته على الصليب.

٢٢ ـ الانسان على صورة الله

تلك هي حركة الايمان. فلسنا هنا في ميدان الجدل ولا في عالم المفاهيم النظرية، انما نحن في صميم عرض حيوي: «اومن باله واحد». فالانسان هو الذي يؤمن، والله هو الذي يمنحه الطاقة ليؤمن بحبه. وللايمان مضمون، كما سنشرح ذلك في موضع لاحق. ولكن الايمان هو، قبل كل شيء، صرخة حبّ واستسلام واثق، على النقيض من التشاؤم المر الذي يعبث بزماننا. فليس الانسان كائنا قُذف به ههنا، دون ان يعلم من اين يأتي، ولا من هو، ولا الى اين يذهب. فهو يعلم جيدا انه صورة الله، مخلوق على صورته ومثاله، شأنه في ذلك شأن البشر كلهم. لذا فانهم اخوته، لان جميعهم معا ابناء هذا الاله الذي يحبنا جميعا، والذي اتخذ وجه الانسان لكي يكشف لنا عن حبه. اذ ذاك تنقلب الصيغ البشرية الى التمحور حول الله. وسندرك علم الانسان على ضوء علم اللاهوت، اذ يعلن الله عن ذاته بيسوع المسيح، ويهبنا ان ندرك سرنا الخاص اذ نكتشف سره الالهي.

٢٣ ـ الله، باعث الايمان

اؤمن بالله. وقبل ان اومن بما يقوله، اومن به، وأثق به. ومن ثمة فبوسع قانون الايمان ان ينشر مضمونه ومحتوياته المتناغمة، لكن الامر سيجري دوما على ضوء هذا المحـور الكبيـر. فالله، والله وحـده، هوموضوع، اوبالاحرى باعث ايمـانـنـا. وكلمتـه هي التي تنيـرنا حول سره الخاص الذي يكشفه لنا، وحـول مصيـرنـا الـذي يحيله الى نهـايـة سعيـدة، اذ يزيـل عنا كابوس القدر الغـامض الـذي كان يهيمن على الـوثنيين، لينيـر لنـا سبيل حريتنا المسؤولة، حيث نمضي من الزمان شطر الابدية.

ما الايمان؟

بين يديك، ايها القارئ الحبيب، عرض مبسّط لايمانك المسيحي. اقرأ هذه الصفحات بهدوء. فكّر. تساءلْ. وانظر كيف تحيا انت هذا الايمان وكيف تجسّده في حياتك اليومية.

اليك بعض الاسئلة. أجب عليها جوابا شخصيا نزيها. لعلها تثير فيك الرغبة في المزيد من البحث والتعميق في حياتك الايمانية.

١ ـ هل الايمان في نظرك مجرد تصديق افكار عن الله، ام أبعد واعمق من ذلك؟

٢ ـ تشهد المسيحية الآن ظاهرتين متناقضتين: هناك فتور في الممارسات الدينية وابتعاد عن الايمان لدى البعْض. وهناك رغبة متزايدة في التعميق في مختلف ابعاد الايمان والدين لدى آخرين. كيف تحلّل ذلك؟

٣ ـ ما رأيك في هذا القول: «لا اومن الا بما ارى»؟ الا ترى فيه تناقضا بيّنا؟

٤ ـ قال احد المفكرين المعاصرين: «ان ازمة الايمان كامنة في جهل معنى الايمان وليس جهل التعبير عنه حسب». هل توافق على هذا التعبير؟

٥ ـ الدخول في الايمان يعني الاقرار بان الله يخطو الخطوة الاولى نحونا، وان علينا ان ننطلق الى لقائه وان نرضى بالدخول في مجازفة. الا تخاف من هذه المجازفة؟

٦ ـ قرأت في هذا الفصل ان فعل الايمان هو شهادة، وانه ألفة مع الله. فما السبيل الى جعله متناسقا مع حياتك اليومية؟

٧ ـ هل ان اثارة الاسئلة في المواضيع الدينية تفيد الايمان وتجدّده؟

٨ ـ «عظيم هو سر الايمان»: هذه صرخة يطلقها المؤمنون اثناء الاحتفال بالاوخارستيا. هل بوسعك ان تنقل هذه الصرخة الى النشء الجديد؟ كيف؟

.... في كانون الاول سنة ١٩٦٨ دارت مركبة فضائية حول القمر وحطت عليه لأول مرة. وكان العالم كله ينتظر ويصغي. وسمع الجميع روّاد ابولو ٨ يقرأون الصفحة الاولى من الكتاب المقدس: «في البدء خلق الله السماء والارض....»

ورفع بورمان، رئيس البعثة الفضائية، هذه الصلاة الرائعة:

«أعطنا يا رب القدرة على رؤية حبك في العالم، رغم نقائص الناس. أعطنا الايمان والثقة والصلاح رغم جهلنا وضعفنا. أعطنا المعرفة لكي نتمكن من مواصلة الصلاة بقلوب منفتحة».

الفصل الثاني

إدراك الايمان

١ ـ ليس الايمان صرخة

ليس الايمان صرخة. وليس العقل مثل الشمع الليّن الذي يكتب عليه المرء ما يشاء، ثم يمسحه متى يشاء، دون ان يترك اثرا. نحن اشخاص احياء، ولنا عقل وقلب وارادة. ولا يُضاف الايمان من الخارج الى معارفنا. اجل، انه ليس شيئا اضافيا مثل رداء نلبسه فوق ثيابنا اليومية، ونأخذه او نحمله او ننزعه حسب رغبتنا، حينما لا نحتاج اليه، فنضعه في مستودع الثياب.

٢ ـ البشرى السارة

اما الايمان فهو على النقيض من ذلك انتماء الى بشرى سارة يتجدد كل يوم، هذه البشرى السارة الجديدة كل يوم، بشرى محبة يسوع المسيح المخلّصة. فمنذ الفي سنة، ظهر شخص في احدى مناطق فلسطين المتواضعة. وكان هذا الشخص يسوع ابن مريم العذراء. انه ابن الانسان وابن الله بنوع لا ينفصم. وقد اعلن رسالته الخلاصية دون ملل: ان الآب يحبنا، انه يحررنا من الخطيئة، ويجعلنا اولاده حقا، ويمنحنا روحه لكي يقودنا في طرق حياتنا كلها، هذه الطرق التي تصبح لنا طرق عماوس. انها

طرق الكنيسة، وطرق الانسان، وطرق يسوع المسيح، كما اعلنها لنا البابا يوحنا بولس الثاني في رسالته العامة «فادي الانسان».

٣ ـ نور الشعوب

مات يسوع، ولكنه قام وهو حي ابدا، انه رب المجد، و«نور الشعوب»، كما ذكّرنا بذلك المجمع الفاتيكاني الثاني. ولم نُعط هذا النور لكي يبقى تحت المكيال، بل لينير كل ما في البيت... اجل، «كل ما» في البيت، بدءاً من عقلنا. فيا لسعة المنهاج!

تنطلق ربة البيت كل يوم الى السوق لتشتري حاجاتها اليومية، ان كان من حانوت القرية الصغيرة او من مخزن المدينة الكبير، وتقارن الاسعار... وتقيس امكاناتها الشرائية بالنقود التي في محفظتها.

اما المؤمن الذي يذهب الى الكنيسة، ويتلقى من الكنيسة رسالة المسيح، ان كان في كنيسة القرية الصغيرة، او في كاتدرائية المدينة الكبيرة، فليس له ان يختار من مخزن الايمان الكبير، وان يُبعد ما يزعجه ويفضّل ما يرضيه. كلا. فان هذه الكلمات: طوبى لانقياء القلب، طوبى للساعين الى السلام، طوبى للفقراء بالروح... هي كلمات موجَّهة الى الجميع.

كل واحد منا يُصاب بالدوار امام ما يعرضه علينا الانجيل ويقدمه لحريتنا الواهية. ولكن ما هذه الحرية ان لم تكن للانضمام بكل كياننا، وبكل عقلنا، وبكل قوانا، الى هذا مخطط المحبة الكبير الذي صمّمه الله لنا، والذي يرمي الى ملء تفتحنا والى تنمية جميع طاقاتنا: الجسد والقلب والعقل والارادة، حسب دعوة الله لنا.

٤ ـ الدعوة

ان البابا بولس السادس، ـ بولس السادس الكبير، كما يدعوه خلفه يوحنا بولس الثاني ـ، دعانا الى ذلك في رسالته «تقدم الشعوب». لنقرأ ما جاء في احدى فقرات هذه الرسالة الرائعة، ونحاول تطبيقه على حياة الايمان

فينا: «كل انسان مدعو، حسب تصميم الله، الى تنمية ذاته. لان كل حياة دعوة. فمنذ الولادة، غُرست فينا بذرة مجموعة طاقات وصفات علينا ان نستثمرها: وتفتّحها الذي هو ثمرة التربية التي يتلقاها المرء من بيئته ونتيجة الجهد الشخصي، سيتيح لكل انسان ان يتوجه نحو المصير الذي يعرضه خالقه عليه. فالمرء الذي يتحلى بالعقل والحرية مسؤول عن نموهما، كما هو مسؤول عن خلاصه. وهو يلقى المساعدة، ـ واحيانا المضايقة ـ من مربيه والمحيطين به. ولكنه رغم ذلك يبقى المسؤولَ الاول عن نجاحه او فشله، مهما كانت التأثيرات التي تُمارس عليه. فكل انسان، بجهد عقله وارادته، يتمكن من النمو في انسانيته، وان يكون اكثر كفاءة وارسخ كيانا. وليس هذا النمو اختياريا. فكما ان الخليقة برمتها موجهة الى خالقها، هكذا تلتزم الخليقة الروحية بان توجِّه حياتها تلقائيا نحو الله، الحقيقة الاولى والخير الاسمى. لذا فان النمو الانساني يشكل مثل موجز لواجباتنا. واكثر من ذلك، فان هذا تناسق الطبيعة التي يغنيها الجهد الشخصي والمسؤولية، مدعو الى تجاوز ذاته. فالانسان باندماجه بالمسيح المحيي، يبلغ الى تفتح جديد والى انسانية متسامية توليه ملئه الاكبر: هذه هي الغاية القصوى للنمو الشخصي... ان يبلغ الى الايمان الذي هو هبة الله التي تتلقاها ارادة الانسان الصالحة، والى الوحدة في محبة المسيح الذي يدعونا جميعا الى المشاركة بصفة ابناء في حياة الله الحي، ابي الناس اجمعين». (بولس السادس، رسالة في تقدم الشعوب، عدد ١٥ـ١٧).

٥ ـ فيض من العقل

كل هذا يدعونا الى المزيد من التفكير. فلا ينتهي الايمان من النمو بحثا عن الادراك، ولا العقل من الانفتاح بحثا عن الايمان. والمسيحي الذي يفكر لا يُعاق في تفكيره بما يؤمن به. بل على النقيض من ذلك، فان الايمان يحمل الينا فيضا من الادراك، بما يجلبه لافكارنا من النور الاسمى.

كل منا يختبر فكره واعماقه وحدوده، ما وراء نطاق معرفتنا، كبيرا كان ام

ضئيلا. ولكن من منا لا يكتشف لدى تأمله انه اكثر غموضا مما كان يظن في اعماق كيانه الذي يسكنه كائن اخر «هو اعمق فيّ من ذاتي» حسب عبارة القديس اوغسطينس التي ما زالت الاجيال تستوحيها.

٦ ـ ما هو المسيحي؟

ما هو المسيحي اليوم؟ ما هو جواب عقلنا اذا ما استفزّه الايمان للاجابة على هذا السؤال المحرج! انما الأمر يتوقف بالتأكيدعلى الايمان بان يسوع هو حقا المسيح، وانه ابن الله الحي، وعلى الرغبة في العيش حسب رسالة الحب، في صميم الحياة اليومية. ويتوقف الامر ايضا على الاتحاد بكافة الجماعات المسيحية المنتشرة في العالم الواسع، وعلى الشركة مع الاساقفة الملتفين حول خليفة بطرس، وعلى التأكيد بان كلام المسيح نافذ المفعول لنا كل يوم، وان الطريق الذي فتحه ما زال معروضا لخطانا، مثل الرجاء الذي ينعشه الايمان بالمحبة. وكان القديس بولس يقول: ان المسيح رجاؤنا. ونحن ايضا نكرر اليوم: ان المسيح رجاؤنا.

٧ ـ سر الايمان

لقد صار الله انسانا، ونحن نسجد له بيسوع المسيح. وكما صرح البابا يوحنا بولس الثاني في رسالته «فادي الانسان»: اجل، انه واحد من بين آلاف الملايين، ومع ذلك فهو الاوحد. نحن مدعوون الى التأمل في هذا الكلام، وان ندع له المجال ليرنَّ في اعماق قلبنا وعقلنا. فاذا اتّخذ الله وجه انسان، فقد غدا للانسان من الآن شكل الله. وكان البابا القديس لاون الكبير يصرخ في خطبة ليلة الميلاد: «ايها المسيحي، اعرف كرامتك!»، «لقد صار الله انسانا، لكي نستطيع بدورنا ان نشترك في طبيعته الالهية». ومن عيد الميلاد حتى عيد الفصح، نحيا من جديد في الليتورجيا اسرار يسوع المسيح في الزمن، قبل مقاسمتنا ثمارها في الابدية.

ما ابهج هذه الصلاة المقتطفة من مقدمة قداس الفصح، ولا تنفك كلماتها ترنّ في اعماق قلوبنا المنذهلة: «لقد رفع المسيح خطيئة العالم،

وبموتـه قضى على موتنـا، وبقيامته منحنا الحياة». هذا هو سر الايمان، وهو لعقلنا المتأمل ينبوع لا ينضب معينه.

٨ ـ الفرح في السجود

ما وراء الاجيـال وانحسـار الحضـارات، ينتزعنا يسوع من عزلة الموت والفسـاد اللذين لا مفر منهمـا. فان فرح الايمـان ينعش عقلنـا اكثر ممـا كنا نتخيله. ويتحقق ذلـك قبـل كل شيء اذ يوليـه فرح السجود. وبالرغم من كل المظـاهـر الصـارخـة التي تزرع الشـك في عصـرنـا، فان العقـل لم يُخلق للاعتـراض، بل للسجـود. فالسجـود فعـل يقوم به الانسان المؤمن به يتجاوز ذاتـه، ويتـرك عزلتـه، ويكتشف ذاتـه بانـذهال حينما يضعها في الحقيقة. ما اروع هذه العبـارة التي وردتنـا من المشتـرعـات الـرسـوليـة: «ثبّتنا في الحق بحلول روحـك القـدوس!» الا يكـون الانسـان، بدون الله، في نهـايـة الامر وحيـدا ومنعـزلا في عمق كيـانه وعرضة لليأس المرير؟ انه يجد ذاته وسط هذه الطبيعـة العميـاء، ومـا بين الاصنـام التي تولـد وتتجـدد دوما، وخلال الرمال المتحركة والزاحفة والهاربة، ووسط عادات وآراء متغيّرة؟

٩ ـ فرح العيش

ان العقـل المنـوّر بالايمـان لا يسعـه ان يرضى بالانـزلاق نحو النسيان البائس اذ يعيش حياة سطحية. فاننا، ما وراء الاوهام وخيبة الآمال، نريد ان نعرف، ونريد ان نحيا: ما الانسان، وما الحياة، ولمَ الالم والشر، وما الفائدة من العمـل ومن الاخفـاق، وحتى من النجـاح، اذا كانت نهايتنا الى الموت؟ وهـذا ما أسـرّ به ستـالين في خيبتـه الى الجنرال ديغول اذ قال: «ليس ثمة الا الموت الذي يبقى هو الرابح في النهاية». كلا. فان الاله الحي، الذي يكنّ لكـل منـا حبـا شخصيا، لا يستطيع ان يتركنا عرضة للهلاك. انه يريد لنا ملء الحيـاة بعـد المـوت الارضي، ويريد لنا مقاسمة الحياة الحقة، حياة الله ذاته الـذي ليس منعـزلا كمـا يعتقد البعض، بل هو متضامن، لانه آب وابن وروح قدس، والثلاثة متحدون في المحبة بنوع لا ينفصم.

١٠ ـ غير المنظور يصبح منظورا

ان سر الحياة غير المنظور، الذي يتعذر ادراكه والتعبير عنه، قد اصبح منظورا لأعيننا في سر الكلمة المتجسد. ولو ادركناه، لما بقي الايمان بل العيان. ولو استمر امامنا مظلما، لما بقي الايمان بل الكفر. كلا. ان سر الايمان نور في عقولنا وفرح في قلوبنا: «ان ما كان من البدء، ما سمعناه وما رأيناه بأعيننا، وما تأملناه وما لمسته ايدينا في شأن كلمة الحياة. لان الحياة قد ظهرت، لقد رأيناها، ونشد لها، ونبشركم بهذه الحياة الابدية التي كانت لدى الآب وظهرت لنا. ان ما رأيناه وسمعناه، به نبشركم انتم ايضا، لتكون لكم، انتم ايضا، شركة معنا. وشركتنا نحن، انما هي مع الآب، ومع يسوع المسيح ابنه، ونكتب اليكم بهذه الامور ليكون فرحنا مكملاً» (١ يوحنا ١/١-٤). ويضيف القديس بولس الى ذلك قائلاً: «ان ما لم تره عين، ولا سمعت به اذن، ولا خطر على قلب بشر، ما اعدَّه الله للذين يحبونه» (١ قور ٢/٩).

١١ آمِنْ لتفهم

هذه هي شهادة الرسل التي يرتكز عليها ايماننا، والتي انطلاقا منها تتسع جهود عقلنا بحثا عن الايمان. وقد اجاد القديس اوغسطينس حينما قال: «آمِنْ لتفهم، وافهمْ لتؤمن!» وبتعبير آخر: يفتح الايمان في عقولنا دربـاً يؤدي بنا الى الحقيقة، ويحفر العقل في ايماننا الطريق الحي الذي اعطانا اياه الكلمة لنذهب الى لقائه، حينما صرح قائلاً: «انا الطريق والحق والحياة» (يوحنا ١٤/٦).

«اما كان قلبنا متقدا في صدرنا، حين كان يحدّثنا في الطريق ويشرح لنا الكتب؟» (لوقا ٢٤/٣٢). من منا لا يستطيع ان يتبنى في بعض الايام هذه العبارة التي نطق بها تلميذا عماوس؟ فأن يسوع هذا الذي اعلنه الانبياء، ونقل الينا الرسل بشارته الانجيلية، «نحبه دون ان نراه»، حسب قول القديس بطرس (١ بطرس ١/٨). ان آثار الله التي يمكننا تمييزها بأصالة هي نور وحياة لعقلنا في بحثه الدائم، ولقلبنا في يقظته الدائمة.

١٢ ـ كلمات الانجيل

اننـا اذ نتأمـل الكتب المقـدسـة وتعليم الكنيسة، نكتشف بنوع افضل حقيقـة ما قالـه باسكـال: «اننا لسنا فقط لا نعرف الله الا بيسوع المسيح، بل ولسنـا نعـرف ذاتنـا الا بيسـوع المسيح. لا نعـرف الحياة والموت الا بيسوع المسيـح، وخـارجـا عن يسوع المسيح نجهل معنى حياتنا وموتنا والله وذواتنا» (خواطر، عدد ٥٤٨). فبينما تلاحقنا تساؤلات كثيرة، وتتعقبنا شكوك شتى، وينتابنا قلق أليم في بعض الايام، ما اعظم ما يكون فرحنا حينما ندع كلمات الانجيل ترنّ في اعماق قلوبنا: «اريد، فاطهر... مغفورة لك خطاياك... اذهبي ولا تخطئي بعـد الآن... إيمـانـك خلصـك... من اراد ان يكـون الاول، فليكن الآخر... دعوا الصبيان يأتوا اليّ... من لا يقبل ملكوت الله مثل الطفل، لا يدخله... امرواحد ينقصك: امض وبع كل ما لك ثم تعال اتبعني... ما من احد ترك بيتا او اخوة او اخوات او اما او ابا او بنين او حقولا، من اجلي واجـل البشـارة، الا نال الآن في هذه الـدنيا مائة ضعف من البيوت والاخـوة والاخـوات والامهات والبنين والحقول، مع الاضطهادات، ونال في الآخرة الحياة الابدية... ان تُحبَّ الرب الهك وتحب قريبك كنفسك... خذوا، هذا هو جسـدي... هذا هو دمي... اذهبـوا في العـالم اجمع، واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها.

١٣ ـ آفاق غير محدودة

ان هذه الكلمـات التي يقـدمهـا الله لايماننا، تفتح امام عقولنا الباحثة عن الحقيقـة حقـلا لا حد له، مثـل افق المحيـط الـواسـع، واذا بنا نقاد الى صميم التحـام عميق تستفـزنـا ضرورتـه: ان نعيش مع الله هذا اليوم، اي ان نميـز في صميم الـدنيوي نداء ما هو الاقدس. فيكون، والحالة هذه، اليومي ابـديـا. ان نحيـا الحب في وسـط الخلافات، وان نتقاسم الرجاء في صميم المحنة. اليس هذا سر حياة المسيحي الذي ليس مدعوا ليكون رجلا عظيما ولا بطلا، بل قديسا، على مثال المسيحي الحقيقي الاوحد: يسوع المسيح؟

١٤ ـ الحياة ايمان

فالعيش يعني لنا اذن ان نؤمن، والفعل يعني لنا ان نرجو، والعمل يعني لنا ان نحب من كل عقلنا ومن كل قوانا. ويُعطى الايمان لعقلنا كاسلوب تربوي منفتح على شمولية الانسان وعلى نهاية الله. وهكذا تستجاب لنا الصلاة التي رفعها سليمان الحكيم، اذ سأل الرب قائلاً: «يا اله الآباء، يا رب الرحمة، يا صانع الجميع بكلمتك، وفاطر الانسان بحكمتك، لكي يسود على الخلائق التي كوّنتها، ويسوس العالم بالقداسة والبر ويجري الحكم باستقامة النفس. هبْ لي الحكمة الجالسة على عرشك، ولا ترذلني من بين بنيك. فاني انا عبدك وابن امتك، انسان ضعيف قليل البقاء وناقص الفهم في القضاء والشرائع» (الحكمة ٩/١-٦).

١٥ ـ مشاهدة لا نهاية لها

ان الايمان يطبع في عقلنا علامته التي لا تُمحى، كما طُبع على منديل فيرونيكا الوجه الاقدس، وجه الحب المهان الذي قد يكشف لنا بهاء الكلمة الذي لا يوصف بنوع افضل مما يفعله المسيح بصفته رب المجد. اننا لن ننتهي قط من تأمل الوجه الاقدس، مع باسكال. ولن ننتهي قط من تحرير جميع المساحات المثقلة في اعمق كياننا، لكي نتعلم ان نكون احرارا ونحيا تماما في حضن هذا الحب الذي يحرر فينا طاقات هائلة لاجله ولاجل اخوتنا. وكما يقول بيير عمانوئيل: «ان المسيحية هي تعلّم الطبيعة الالهية في الانسان، والادراك الذي يزداد انتباها وعمقا دوما للنور الذي يسلّطه الله على العالم. ان التربية المسيحية والتثقيف المسيحي المستمر، ان كان لهما اهداف عملية محدودة بالنشاط الاجتماعي، فليس لهما سوى غاية واحدة وهي تفتّح الكيان في الله. انها غاية تقتضي، قدر المستطاع، عمل الاستعدادات الطبيعية الخالق: إنبات جديد، في الوسط الروحي هذه المرة. اقول في الوسط الروحي وليس العقلي حسب: فان الروح الذي يولي الصيغة للمادة هو في تناغم الجسم كما هو في مهارة اليد وحذاقة العقل

النظـري . ففي مجموعة امكانات الانسان، تكون احداهما هي الصيغة التي فيها تتحقق الامكانات الاخرى كلها بانتظام» .

١٦ ـ ثقافة مسيحية

هذا هو المشـروع الخـلاق لثقافة مسيحية حقة في عصرنا تكون وريثة ألفي سنة من الحياة المسيحية وتحمل طاقات لمستقبل غير محدود . فالايمان لم يصلنا وهو راقد في ذاكرتنا النائمة ، بل هو خميرة فعّالة في عقولنا اليقظة . فاللهبـة تنطفىء اذا لم تنتقـل ، والايمـان يذبـل ان لم نتقـاسمـه . وقـد وضع القـديس بطـرس لنـا منهاجا اذ قال : «كونوا على استعداد دائم لتجيبوا كلَّ من يسألكم حجـة عن الـرجاء الذي فيكم» (١ بطرس ٣ / ١٥) . وهذا امر يقتضي جميـع طاقـاتنـا العقلية . ليس الايمان لعقولنا مثل لعبة الملح التي تذوب في بحر لا شواطىء له . لكنه خميرة تخمر العجنة كلها على محيط الحياة الشاسع .

وهـذا هو المنهـاج الـذي وضعـه البابا بولس السادس الراحل ، امتدادا لاعمـال السينـودس حول التبشيـر بالانجيل . فقد قال في دعوته الرسولية «من اجـل اعـلان الانجيـل» الصـادرة بمنـاسبة عيد ميلاد سنة ١٩٧٥ : «يتعين ان يُبشَّـر بالانجيـل ، ليس على سبيـل التزيّن ، كما لو كان بطلاء سطحي ، وانما ببثٍّ حيـويـة تنفـذ الى جذور الثقـافـة العامة وثقافات الانسان النوعية . . . ان القطيعـة بين الانجيـل والثقافة تشكل بلا شك المأساة في عصرنا . . . لذلك وجب بذل جميـع الجهـود في سبيـل ان تكـون الثقـافـة ، وعلى الاخص الثقـافـات ، متأثرة بالبشارة تأثرا وافرا» (بولس السادس ، دعوة رسولية من اجل اعلان الانجيل ، عدد ٢٠) .

وقـد عبّـر الكـاردينـال فوتيلا (البابا يوحنا بولس الثاني) عن ذلك بتعابير قويـة في التقـريـر اللاهوتي الذي رفعه الى سينودس الاساقفة عينه في تشرين الاول سنة ١٩٧٤ : «من الضروري في ايامنا ان نوحد ، على الصعيد النظري والعملي ، بين اليقين الالهي والقنـاعـة واليقين الانسـاني . ذلك لان للايمان

معنى انسانيا خاصا واهمية كبيرة في حياة الانسان وتثقيفه الذاتي، كما في حياة المجتمع كله وثقافته. فليس الايمان ابتزازا للفكر الانساني، بل يتيح له ان يحدّد ذاته، بفضل الشركة مع الله» (الوثائق الكاثوليكية، مجلد ٢١ لسنة ١٩٧٤، ص٩٦٧).

ان هذه لمهمة خطيرة تدعو الى التلقي والتمييز وزرع حقل عقولنا الشاسع، وحرثه عميقا، لكي نلقي فيه بأيادٍ سخية بذرة الانجيل الحيوية.

وقد وجّه البابا يوحنا بولس الثاني خطابا منذ افتتاح رسالته كأسقف روما وبابا الكنيسة الجامعة قائلا: «لا تخافوا، افتحوا، افتحوا الابواب على مصاريعها امام المسيح، افتحوا امام قدرته الخلاصية مجالات الثقافة الواسعة والحضارة والنمو. لا تخافوا... افسحوا المجال للمسيح ليكلّم الانسان. فله وحده كلام الحياة، اجل كلام الحياة الابدية» (خطاب قداس التتويج في ٢٢ تشرين الاول سنة ١٩٧٨ - مجلة الوثائق الكاثوليكية، مجلد ٧٥ لسنة ١٩٧٨ ص٩١٥-٩١٦).

ادراك الايمان

١ ـ كيف وصل اليك الايمان؟ هل لديك تعليق حول اهم مراحل الايمان في حياتك؟

٢ ـ هل طرأ تغيير هام على الايمان الذي عشته في طفولتك؟

٣ ـ اذا راودتك تساؤلات حول العقائد الايمانية، فهل هذا يعني ان ايمانك في خطر؟ ام انها علامة صحة لايمانك؟

٤ ـ «الايمان يبحث عن الفهم»: هل هذا يعني ان الايمان يخضع لمنطق العقل؟

٥ ـ هل من تناقض بين الايمان والعلم؟

٦ ـ هل تحصل على قناعات الايمان بفضل البراهين العقلية؟

٧ ـ كان تاريخ الايمان حافلا دوما بالاصنام. فما هي هذه الاصنام في عالم اليوم؟

٨ ـ ان هناك علما دينيا مسيحيا. ويمكن جمع معلومات حول اله المسيحيين. لكن الايمان اكثر من علم: انه حياة. فما الفرق بين النظريتين؟

٩ ـ قال القديس اوغسطينس: «آمن لتفهم، وافهم لتؤمن». كيف تفسر هذه العبارة؟ وهل تجد فيها ما يخدم ايمانك؟

صلاة

نصلّي اليك يا رب، فاجعلْ ايماننا يتقدم
وابلغ به الى النضوج، واهدِه الى ازدهاره الوحيد
وهو الاشتراك في نورك والحياة من سلامك.
لا يكن ايماننا جامداً
ولا يكن في اعيننا مكسبا لا يتغير،
بل ليكن بداية سعينا
وبدء مسيرة تزداد كل يوم تطلبا وإلحاحا
نحو اكتشاف حقك وحكمتك.
وليمرَّ في حياتنا ذلك الايمان الذي يدفعنا اليك
فينعشها ويحوّلها الى هبة حب.

من كتاب «صلوات جديدة» ـ بيروت ١٩٨٠
الجزء الثالث ص٦٢

الفصل الثالث

حياة الايمان

١ ـ الاخلاقية المسيحية

١ ـ تعال فاتبعني

ان الايمـان يعـاش. الايمان حياة. وسنكون قد فهمنا ذلك بعد قراءتنا الصفحـات السـابقـة. فليس الايمان نظرية مبهمة، بل الثقة التي نضعها في الله الـذي يكشف لنـا عن ذاته في يسوع المسيح، والذي يدعونا الى اتّباعه، لكي نحيـا حيـاتـه ذاتهـا، من الان ونحن على الارض بنـوع ناقص، قبل ان نقاسم حياة الله ذاتها ما وراء الزمان وما بعد الموت، في حياة ابدية.

«تعـال فاتبعني» (مـرقس ١ /١٧): هذه هي كلمات الانجيل الاولى. فان يسوع يدعو من يضع فيه ثقته الى اتّباعه، وحتى الى ترك كل شيء للسير وراءه. لقـد سمعنـا رسـالـة التطـويبات هذه وصوت السعادة هذا الذي ينادي الجميـع. فليس ثمـة غنـوصية فكرية تكون وقفا على فئة صغيرة من العلماء. انها الطريق المعروضة امام كل من يريد السير فيها، كما فعلت اجيال عديدة من المسيحيين منذ الفي سنة، من خلال الاقتداء بالمسيح.

٢ ـ ليس عند الله امر مستحيل

ولكن كيف يتسنى لانسان ان يحيا مثل الـه؟ ان هذا ليستحيل على الانسان. الا ان يسوع يأتي لكي يطمئننا بقوله: «ان الله على كل شيء قدير» (متى ١٩/٢٦). ان المسيحي يحيا حياة الله ذاتها. ويُعطى النعمة لكي تغيّر عمله وذهنه، بما ان كيانه ذاته يتغيّر في المسيح الذي هو «الطريق والحق والحياة» (يوحنا ١٤/٦).

٣ ـ مثال القديسين

منذ عهد قلسس الوثني المماحِك، ظهر مناقضون عديدون عبر الاجيال ليؤكدوا ان هذا الادّعاء غير ممكن. ولكننا قلنا ان الكنيسة، حينما تعلن قداسة ابنائها، تظهر لنا نماذج كانت حياتهم برمتها موجَّهة الى الله والى اخوتهم البشر. لذا فقد اضحت هذه الحياة ارتقاء صبورا، واحيانا صاعقا، نحو الله، وبهذا المعنى يقول لنا يسوع: «اصنعوا ما صنعت انا اليكم» (يوحنا ٨٣/١٤-١٥). الا ان هناك اناسا يقولون: ان هذا ادّعاء واهٍ لا يمكن تحقيقه، وهو خيالي غير انساني ولا معقول. ومع ذلك فقد حققه القديسون، واظهروا لنا، على مثال القديس فرنسيس سالس، ان المقياس الحقيقي لحب الله هو ان نحبه دونما قياس. وما اجمل العبارة التي قالها القديس اوغسطينس، والتي طالما أسيء فهمُها: «أحِبْ واعملْ ما تشاء». وهل ثمة شيء اوضح من هذا المثل الاعلى؟ فان احببت، فانك ستفعل حتما ما يريده منك الشخص الذي تحبه، وستجد سعادتك بالقيام بذلك، وانت على يقين، ان كان محبوبك الله، من انك لن تستطيع سوى عمل الخير، باتباع الطريق الذي يعرضه عليك.

٤ ـ اساس المحبة

ان المحبة لا تلغي الفضيلة، بل بالعكس تسمو بها عوض الاعفاء من

ممارستها. وهذا ما فعله المسيح تجاه الشريعة القديمة: «لا تظنوا اني جئت لابطل كلام الشريعة والانبياء: ما جئت لابطل بل لاكمل» (متى ٥/١٧). ودفع ثمن ذلك عبر الآلام والصليب والموت. وقد اسبغ الله تأييده الازلي على سلوكه ومحبته للانسان، اذ اقامه من بين الاموات، كما يقول القديس بولس.

طالما دار النقاش لمعرفة هل ان سلوك المسيحي هو اخلاقية الاقتداء بالمسيح، او اخلاقية المحبة، او اخلاقية التطويبات، او اخلاقية التضحية، او اخلاقية الشخص. ولكني احسب انه ليس من تحديد نظري بوسعه ان يستنفذ غنى ما يوحيه الينا الكتاب المقدس اذ يقدم لنا المسيح «الطريق والحق والحياة». فليس بوسع الاخلاقية الشخصية في العلاقات العائلية، ولا الاخلاقية الاجتماعية التي تهيمن على العلاقات في المجتمع، أن تستنفذا مضمونه، بما انه المسيح، والمسيح هو الله. ولِمَ نقيم تعارضاً بين القيم الطبيعية والفضائل فائقة الطبيعة؟ اليس الخالق هو المخلّص والفادي؟ اليس الله هو المحبة؟ السنا مدعوين لكي نحيا من محبته وبمحبته ولاجل محبته، هذه المحبة التي تشمل جميع الكائنات دونما تمييز: كل الانسان وجميع البشر. وقد ذكّرنا بذلك البابا يوحنا بولس الثاني، في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٨١، في زيارته الراعوية لخورنة يسوع العامل في روما، قائلا: «ان الاخلاقية الانسانية تُبنى على اساس المحبة».

٥ ـ علم الاخلاق والتصوّف

يظهر اتفاق عميق بين علم الاخلاق الذي يمارسه باستقامة اناس ذوو ارادة صالحة، وبين علم الاخلاق المسيحي. الا ان علم الاخلاق المسيحي هو ايضا وقبل كل شيء تصوّف. فهو ليس شرعة للفضائل، بل هو مثل أعلى للحياة. وهل يسعنا ان نعرف كيف نعيش اذا لم نعرف لماذا نعيش؟ فالفلاسفة الاقدمون كانوا يقولون: في كل شيء يجب النظر الى الغاية. وطريقة العيش تنكشف من خلال دوافع العيش. ويظهر القديس بولس ان الفرائض قد تبقى فرائض الاخلاقية الطبيعية، ولكنها تحقق في المسيح اكثر

مما تقوله بكثير. فان السلوكية الاخلاقية تخضع في الواقع للقوانين التي يكتشفها العقل في ممارسته الطبيعية، حسب مقتضيات ضمير قد تهذّب باستقامة. الا ان الدافع الاخير يكمن في سر يسوع. وبهذا المعنى يطلب القديس بولس من تلاميذه الفيلبيين: «ليكن شغلكم الشاغل كل ما هو حق وشريف وعادل وخالص ومستحبّ وطيب الذكر وما كان فضيلة واهلا للمدح» (فيلبي ٤/٨)، وهم بذلك على يقين من انهم يحققون هذا المثل الاعلى حينما يتبعون مثال المسيح، وحينما يصلّون الى روحه ليمنحهم القوة لتحقيقه.

٦ ـ الصلاة

هكذا فان الصلاة تكون في قلب الحياة المسيحية وخبرة حياة الايمان. فاذا كان المسيحي انسانا واقفا امام البشر، فذلك بالتأكيد لانه قبل كل شيء انسان جاثٍ على ركبتيه امام الله، النور والقوة والصبر الوديع الذي لا ينضب. ان الانسان العصري على عجلة من امره في ان يكون له كل شيء وعلى الفور. وليس هكذا يصبح المرء رجلا. وجميع الامهات يعرفن ذلك، وقد حملن بصبر في احشائهن ثمرة حبهما الزوجي. وجميع الاباء والامهات في الأسر يعرفون ذلك، إذ يلزمهم حياة بكاملها لتحقيق تربية لن تكون كاملة تماما في هذه الدنيا. وكان القديس بولس يقول للقورنثيين: «المحبة حليمة مترفقة... المحبة تصبر على كل شيء» (١ قور١٣/٤ و٧). والقديس يوحنا، رسول المحبة، الذي كان في شبابه الرسولي الصاخب قد أطلق عليه لقب ابن الرعد، لم يكن يعرف في غروب حياته المسيحية الطويلة سوى ان يردّد: «يا ابنائي الصغار، أحبوا بعضكم بعضا». واذ كانت الخبرة قد مرّسته وهو يعرف اوهان الطبيعة البشرية، رغم كونها قد تعمدت في الرب وامتلأت بالروح القدس، فقد اضاف قائلا: «اذا بكتنا قلبنا، فان الله اكبر من قلبنا» (١ يو٣/٢٠). انه سر الغفران الذي نختبر جميعنا مفعوله المحرِّر!

٧ ـ قوة المسيح

هذه هي الاخـلاقية المسيحية ومقتضياتها . وعصرنا الذي يقال عنه انه عصر اباحية ، يستعيد فضائلها بمفارقة ظاهرية . فان سولجنتسين ، في غياهب سجنـه ، يجـد القـوة ليقـول «لا» للكـذب . واكثر من ذلك ، فان ماكسميليان كولب يجد القوة ، في مثال المسيح ، ليحلَّ محلًّ رب اسرة لكي يجنّبه الموت في معتقـل الجـوع في «اوشـويتـز» ، فيمـوت هناك ضحية محبته . واذ يعرضه مواطنـه كارول فوتيـلا ، وقـد اصبـح البـابـا يوحنـا بولس الثـاني ، لاكـرامنـا ولاقتـدائنـا ، يظهـر لنـا بالاحـداث حقيقـة الانجيل التي لا ينبغي ان نملّ من ترادادها ، وهي : «لا شيء مستحيل عند الله» (متى ١٩ / ٢٦) .

٨ ـ الضمير

كل منـا يدرك هذا الامـر ، وان كان يصفق للانجازات التقنية الرائعة في العـالم العصـري . وهنـاك ما هو اعظم من ذلك ، كما يقول باسكال : عظائم المـادة ، وعظـائم الـروح ، واكبـر منهـا عظـائم المحبة . وكل منا ايضا ، لدى تفكيـره في الانسـان الـذي يمشي على سطـح القمـر ، وفي الاطفـال الـذين يولدون في الانابيب ، وفي القنبلة الذرية ، وفي الاختبارات الوراثية ، يكتشف ان كل ما يمكن انجازه تقنيا لا ينبغي مع ذلك ان يُنجز في الواقع ، اذ قد يكون في الامـر شر للانسـان . ومن سيقـرر ذلـك ان لم يكن هذا الحكم الكائن في اعمـاق كيـاننـا والذي هو ضميرنا الذي يستنير ويتهذب بنور عقلنا وبكلمة الله التي يشرحها تقليد الكنيسة الحي باصالة تحت ارشاد روح المسيح .

٩ ـ التجربة

يقـول لنـا الكتاب المقدس ان عالم الانسان ، المدعو الى الحب ، هو ايضـا عالم تعتـوره الخطيئـة وهـو فريسة للتجربة وإغراء الشر . والمسيح نفسه

اراد ان يختبر التجربة، لكي يرينا انه ان كان لابد من التجربة، فهي ليست امرا لا يمكن قهره. وقد اظهر لنا القديسون ذلك، كما تظهره لنا الحياة اليومية. فلا يمكننا التمسك، في سبيل العيش والبقاء، بقوانين الاقتصاد والسياسة، التي هي في نهاية الأمر شريعة الأقوى، وتتعرض دوما الى استخدام الظلم والعنف ضد الضعيف والفقير هؤلاء الناس الذين لا حول لهم ولا قوة امام السلطات، حتى تلك التي هي الاكثر استقرارا وشرعية واعتدالا.

١٠ - حقوق الانسان

ان ما يثير الانتباه هو اننا نلقى، في العالم الحر على الاقل حيث تتاح حرية التعبير، تأثير حملات مثل حملات العفو الدولي، او الصدى الذي يرن من المنابر الدولية مطالبا بالحاح بصيانة حقوق الانسان، ضد جميع السلطات التعسفية، وهذه علامة على ان في كل انسان ذي ارادة صالحة يبقى حُكم ادبي لا ينحني امام القوة، بل يطالب بحقوق الشخص البشري التي لا يجوز استلابها. ان هذه الحقوق غالبا ما تتعرض الى الازدراء، من الطفل حتى قبل ميلاده، بالاجهاض، حتى الشيخ الذي لا يتركونه ينتظر موته الطبيعي، بل يجهزون عليه بقتل رحيم. فكل ضمير جدير بهذا الاسم يحتج باسم الضعيف الذي يباد دون ان يُسمع صوته، على قدرة القوي الذي ينتزع منه بعنف اهمَّ حق له لا يجوز التصرف به، اي حقه في الحياة. فالمسيحي يكافح مع جميع اخوته في سبيل عالم اخوي حقا للجميع، فيه يتم الاعتراف بجميع الناس ويُحَبّون لاجل ذواتهم، اي لكونهم اخوة وابناء آب سماوي واحد، على صورة ابنه يسوع المسيح. اليس هو الذي يعطينا الشرع الاساسي الذي فيه توجز الشريعة كلها والانبياء، والذي لا يني يلاحقنا مثل مهماز على طرق الحياة اليومية الوعرة، ونحن معرضون للشر والشقاء: «أحبب الله ربك بجميع قلبك وجميع نفسك وجميع قدرتك وجميع ذهنك، وأحبب قريبك حبك لنفسك» (لوقا ١٠/٢٧)؟

١١ ـ الخطيئة والغفران

ولسنا بحاجة الى ان نكرر خلال هذه الصفحات المخصصة للايمان ان الاخلاقية نتيجة مباشرة لهذا الايمان. ولنضف انها نتيجة حتيمة، او بالاحرى انها امتداد غير منفصل. ولقد دعانا يسوع جميعنا في الانجيل الى بذل جهد حقيقي وواقعي وحياتي، والى عدم الاكتفاء بالاقوال، وذلك حينما قال لنا باجلى بيان: «ليس من يقول لي: يا رب، يا رب، يدخل ملكوت السماوات، بل من يعمل بمشيئة ابي الذي في السموات» (متى ٧/٢١). والايمان، اذ يعلمنا من هو الله، ويتيح لنا التعاطي معه، يحرضنا على تطبيق ارادته. فيجتهد المسيحي ان يكون امينا لهذه الارادة في جميع الظروف، مهما كلفه الامر. والتنصل من هذه الارادة خطيئة. وتكون خطيئة مميتة حينما تكون المادة ثقيلة وتتوفر ملء المعرفة والارادة التامة. انه الانفصال عن الله. الا ان الخاطىء هو عادة انسان ضعيف اكثر منه انسانا ذا ارادة شريرة. لذا فان كلمة الله تدعونا الى الندامة. والكاهن خادمه يجلب لنا الغفران بمنحنا سر التوبة والمصالحة. ويذكرنا البابا يوحنا بولس الثاني، في رسالته العامة الثانية التي مطلعها: «الله الغني بالمراحم» والمدعومة بالكتاب المقدس كله، بان الله غني بالمراحم، مثل والد الابن الشاطر، وخاصة مثل المسيح على الصليب وهو يغفر حتى لصالبيه: «يا ابتِ، اغفر لهم، لانهم لا يدركون ما يفعلون» (لوقا ٢٣/٣٤). فالمسيحي، اقتداء بهذا المثال، وبالقوة التي يمنحها روح الله لضعفه البشري، يكون بدوره رجل الغفران. وكل يوم، تذكره تلاوة الصلاة الربية بمقتضيات هذا الغفران: «اغفر لنا خطايانا، كما نحن ايضا نغفر لمن اخطأ الينا، ولا تدخلنا في التجربة، لكن نجنا من الشرير. آمين».

١٢ ـ الحرب الروحية

يسوغ لنا القول ان حياة الايمان حرب روحية حقيقية، في القيام بالواجب اليومي حيث يحاول الانسان ان يكون امينا لدعوته. وما وراء

الشريعة الطبيعية الموجهة الى كل انسان، كل مسيحي مقتنع بأن له دعوة شخصية عليه ان يحققها. ولكن قبل كل شيء يجتهد في ان يكون امينا لتلك الشريعة التي وضعها الله في اعمق كيانه. والكتاب المقدس بدوره يكون مشروحا بتقليد الكنيسة ومعبَّراً عنه بسلطتها التعليمية بصورة متناسبة مع كل عصر، ولكنها امينة دوما لمقتضيات الطبيعية والنعمة. اذ لا احد، حتى ولا البابا نفسه، يستطيع ان يكون حكماً لشريعة الله هذه، اذ ليس هوواضعها. انما الكنيسة مؤتمنة عليها وشارحتها، دون ان يسعها ان تعلن جائزا ما ليس كذلك.

١٣ ـ شهادة المسيحي

وغالبا ما يتعجب العالِم من ذلك. ولكن المسيحي، الذي يسير على هدى هذا النور المزدوج الداخلي والخارجي، لا يتعجب من هذا الامر. فهو لا ينتظر رضى الرأي العام وتصفيقه لكي يحدد نهج سلوكه الاخلاقي. وحينما يتطلب الامر، فهو لا يخشى السير ضد تيار الذهنية السائدة، سواء تعلق الامر بالتمييز العنصري اوبالعنف او الطلاق او الاجهاض او الممارسات المانعة للحمل. والتحقيقات التي تكثر في عالم اليوم تصبح وسائل الضغط على الانسان الذي يريد ان يكون حسب الذوق المتقلب في هذا العصر. وبهذا الصدد قال عالم الاجتماع «بيتر برجر» بنوع من التهكم: «ان من يروم تبنّي روح عصره، سرعان ما يصبح ارمل!» ومهما يكن من هذه التحولات، فان المسيحي لا يتأثر بالحياء البشري، ولا يخشى ان يُحسَب انسانا غير امتثالي. فان قاعدة سلوكه هي تلك التي كان القديس بولس يعلّمها للمسيحيين العائشين في قلب روما الوثنية، عاصمة القياصرة: «لا تتشبهوا بهذه الدنيا، بل تبدلوا بتجدّد عقولكم» (روم ١٢/٢). ان شهادة الايمان هذه توقظ احيانا ضمير عالمٍ غافٍ.

١٤ ـ تعليم الكنيسة الاجتماعي

ان المسيحي يتذكر قول يسوع ويتّخذه قاعدةً لسلوكه كلما ساوره

الشك او اكتنفه عدم اليقين. اجل، فهويتذكر ان يسوع قال: «افعلوا للناس ما اردتم ان يفعله الناس لكم» (متى ٧/١٢). فمحبة المسيحي لاخوته تجهد في ان تحيا هذه الكلمة وتحققها ما وراء جميع الانقسامات، دون اي حصر في شعب او امة او عرق او طبقة او جنس او لون او عمر. وحسب المثل الاعلى الذي خطه تعليم الكنيسة الاجتماعي في عصرنا، من خلال الرسائل العامة التي وجهها الاحبار الاعظمون: يوحنا الثالث والعشرون: «السلام على الارض»، وبولس السادس «تقدم الشعوب»، ويوحنا بولس الثاني: «في ممارسة العمل»، يحاول المسيحي ان يشتغل مع جميع الناس ذوي الارادة الحسنة في بناء عالم اكثر عدالة واخوّة، في حرية الحقيقة واحترام الاشخاص. وهو اذ يفعل ذلك، لا ينسى ان تحرير البشر من جميع المظالم يجب ان يرافقه التحرير من الخطيئة - وهذا هو الخلاص -، واستقبال القيم السميا. وكان بولس السادس، في رسالته «تقدم الشعوب» قد ذكّر بذلك بقوة في زماننا، بعد ان دعا الى البحث عن حالة فضلى وسميا لجميع البشر، واضاف قائلا: «... اخيرا، اكثر انسانية هو الايمان، هبة الله التي تتلقاها ارادة الانسان، والوحدة في محبة المسيح الذي يدعونا جميعا الى المشاركة كأبناء في حياة الله الحي، ابي البشر اجمعين» (تقدم الشعوب، عدد ٢١).

١٥ - ثورة المحبة

ان العدالة والمحبة غير منفصلتين لدى المسيحي. فهو لا ينسى ان ملكوت الله، كما علّمه يسوع، محفوظ «للساعين الى السلام، فانهم ابناء الله يدعون» (متى ٥/٩). وهو يعلم ان الامر لا يجري دون جهد جهيد وارادة ثابتة، لان «ملكوت الله ما زال في جهاد، والمجاهدون يأخذونه عنوة» (متى ١٢/٢٢). هذه هي ثورة الانجيل، وليست تلك التي ينتظرها العالم ويرمي الى اثارتها باستخدام القوة الوثنية: انها ثورة المحبة المسيحية. وقد اعطانا يسوع مثالا على هذه الثورة حينما اعلن لنا وصيته قائلا: «أحبوا اعداءكم وادعوا لمضطهديكم، وأحسنوا الى من يبغضكم، فتكونوا بني ابيكم الذي في السموات، الذي يطلع شمسه على الاشرار والاخيار» (متى ٥/٤٤-٤٥).

وهذا الامر ليس سهلا هينا، وكان يسوع يعلم ذلك اكثر من اي انسان آخر، هو الـذي، حسب تعبيـر الانجيـل، كان يعلم ما في قلب الانسان. الا ان كلامه واضـح لا لبس فيـه ولا غمـوض: «ان لم يفقْ بركم برَّ الكتبـة والفريسيين، لا تدخـلوا ملكـوت الـسمـوات. . . فاذا احببتكم من يحبكم. . . .، أوليس الوثينيون ايضا يفعلون ذلك» (متى ٥/ ٢٠، ٤٦-٤٧)؟

١٦ ـ النور والملح والخميرة

يشعـر المسيحي في ضعفـه بكل ما يحتاجه من قوة روح الله لينجز هذا المنهـاج الـرائـع. وهـو يستمـد هذه القـوة من الصلاة وتأمل كلام الله واقتبال الاسـرار، بدءاً من الاوخـارستيـا حيث قلنـا ان المسيح يعطي ذاته للمسيحي غذاء. ففي الايمـان، وبكـل تواضع، يعلم انه مدعو الى الكمال كما ان اباه السماوي هو كامل، اي ان يحب دونما مقياس، حتى على حساب استنزاف قواه المسكينـة التي يبـذلها دون حساب. فالمثل الاعلى المسيحي لا يتوقف على ان يتمثـل المسيحي بروح العـالم، بل ان يغيّـر العالم حسب روح الله. وهذا ما يطلبه منا المسيح في الانجيل، اي ان نكون نور العالم وملح الارض والخميرة في العجنة (متى ٥/١٣-١٤). ثم يحذرنا المسيح قائلا: «ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟» (متى ١٦/ ٢٦).

١٧ ـ الحياة عندي هي المسيح

ان المسيحي المجبـول مثـل سائـر اخـوتـه من الطينـة البشرية الواهية ذاتهـا، يعلم حق العلم ان عليـه ان يهتـدي دومـا ليكـون امينا للمثل الاعلى لايمـانـه الـذي هو مصدر الحياة. وهو يجدّ في الامر باستمرار، على مرّ الايام وكرّ السنين، وبنوع اخص في زمان الصوم الكبير الذي يهيئه للفصح، وحيث يجـد سنـدا له في صلاة الكنيسـة كلهـا. ان فحص الضميـر الشخصي، ولا سيمـا اذا كان يوميـا ويجـري بروح الايمـان، يساعد في ذلك كثيرا، وكذلك مراجعـة الحيـاة الاخـويـة التي يحب كثيـرون ممـارستهـا، ليس في الحياة الـرهبـانيـة حسب، بل في الفـرق الصغيـرة من العمل المسيحي ايضا اوفي

حضن جماعات من الحياة المسيحية . وينبغي ان نضيف ان سر التوبة هو للمسيحي سند كبير. اما الاوخارستيا فانها تقويه كثيرا بحياة المسيح ذاته وتساعده على تحقيق منهاج حياته: «الحياة عندي هي المسيح» (فيلبي ١/ ٢١).

١٨ ـ المسيح : الطريق والحق والحياة

من خلال كلمات القديس بولس، نرى ان الايمان كله يعبّر عن ذاته في ملء الحياة: قناعة العقل، صرخة القلب، تحقيق الحياة. اجل، في الحقيقة، ان الايمان للمسيحي انما هو المسيح: المسيح الذي هو الطريق والحق والحياة. وهذا الضمان يجنّب المسيحي كل كبرياء وكل ادّعاء بالوجود، حينما يعتقد ذاته خيرا من الآخرين لكونه مسيحيا. انه بكل بساطة يحاول ان يكون امينا لنعمة الله التي تجتذبه. وهو يعلم ايضا الرحمة القديرة التي يبديها له هذا الآب الذي ينتشله من قعر ضعفه ويرفعه الى محبته الالهية: «اما الناس، فلا يستطيعون، واما الله فانه على كل شيء قدير» (متى ١٩/ ٢٦). ولا يني المسيحي يطلب هذا الامر، كما قلنا، بصلاته اليومية، وهو على يقين من انه يستجاب بنوع سري، ولو ان الظواهر المباشرة تخيّب آماله. الم يعدنا يسوع بذلك حينما قال: «لا تسألون الآب شيئا الا اعطاكموه باسمي» (يوحنا ١٦/ ٢٣).

حياة الايمان

١ ـ المسيحي الذي يصلّي يعرف الله اكثر من اللاهوتي الكبير الذي لا يصلي بل يكتفي بالبحث وبرصف كلام بديع عن الله . ما رأيك في هذا القول؟

٢ ـ ما الاستعدادات الضرورية لتلقّي وحي الله الينا؟ (انظر مثلا متى ٥/٨).

٣ ـ يضع باسكال على لسان الله القول التالي : ما كنت تبحث عني لو لم تجدني اولا . انطلاقا من هذه العبارة كيف نفسر وجود علاقة بين الايمان والحياة؟

٤ ـ اننا نعبّر عن ايماننا من خلال حياتنا : كيف نجسّد هذا القول بطريقة واقعية واختبار شخصي؟

٥ ـ «انا الكرمة وانتم الاغصان . من يثبت فيّ وانا فيه يأتِ بثمار كثيرة» (يوحنا ١٥/٥). هل في هذه الآية ما يشير الى علاقة الايمان بالحياة؟

قانون الايمان سمفونية بحركتين

ان اردنا تحليل قانون الايمان، وجدنا انه سمفونية بحركتين : الحركة الاولى هي حركة انحدار تبسط سر حياة الله الباطنة، حياة الآب والابن والروح القدس، وتصف تدفّق هذه الحياة في الخلق والتجسد والفداء والقيامة والصعود. انها «رحمة سلام»، كما نرنّم في طقوسنا الشرقية . اما الحركة الثانية، فهي حركة ارتقاء، «ذبيحة تسبيح»، عودة الانسان والكون الى الله . في الحركة الاولى نعترف بان كل شيء يأتي من الله، و«ان كل عطية صالحة هبة كاملة تنحدر من فوق، من لدن ابي الانوار» (يعقوب ١/١٧). وفي الحركة الثانية نعلن ان كل شيء يعود الى قلب الله في المجد.

من كتاب «اللاهوت المسيحي والانسان المعاصر»
للاب سليم بسترس
(الجزء الاول ـ ص٢٩)

٢ ـ المسيحي رجل الرجاء

١ ـ الايمان بالمحبة

هكذا يسير المسيحيون بنوع أخوي على جميع طرق العالم. ولا شيء يمكنه ان يزعزع عزمهم، من اضطهادات القياصرة الرومان، حتى الزنزانات الحديثة، من الاهانات التي يعيشون معرضين لها، حتى الاحتقار الذي به يشعرون بألم بكونهم مرفوضين ومنبوذين. وعلى مثال الجيل المسيحي الاول الذي رسم لنا سفر اعمال الرسل تقاسيمه بنوع من الحنين، يحاول المسيحيون ان يكونوا «مواظبين على تعليم الرسل والحياة المشتركة وكسر الخبز والصلاة» (اع ٢ / ٤٢). انهم ينجذبون بمثال ابن الله وبمساعدة نعمته، هو الذي صار انسانا لكي يفتح الناس لعطية الله. فالمسيحيون ايضا يعيشون ملء حياتهم الانسانية، ويغمرهم الفرح بكونهم موضوع محبة الله وبكونهم يسيرون نحو ملء محبته.

ـ كتاب الرجاء

ان المسيحي رجل الرجاء في عالم غالبا ما تتقاذفه امواجُ اليأس والقنوط. ذلك لأن الرجاء هو الايمان بالمحبة. الا يرى هذه المحبة عاملةً في تاريخ الخلاص، منذ سفر التكوين حتى سفر الرؤيا؟ فمنذ الرجل الاول والمرأة الاولى والخطيئة الاولى في الفردوس، يلوح الرجاء بمخلّص. ولن يبرح هذا الرجاء يتوطد عبر قفزات التاريخ المقدس، الى ان تتم اخيرا، في اليوم الأخير، استعادة الفردوس المفقود، فيستحيل بستان البدايات المنعزل الى مدينة كبيرة، عظيمة، طافحة بالنعيم للبشر. والكتاب المقدس الذي يروي قصة هذه المسيرة هو كتاب الرجاء.

ـ من العهد القديم الى العهد الجديد

حينما نفتح من جديد هذه الكتب العتيقة من العهد، أيَّ بطء الاجيال

نلاحظ فيها، واية بلادة عند البشر، واي ثقل في الاحداث! فما اكثر احداث العنف والحروب والسبي والمصائب المتنوعة، مع الموكب الطويل من المآسي المفجعة التي ترافقها! الم تضمحل الارض التي يسيل فيها اللبن والعسل تحت اقدام غزاتها؟ فالرجل الذي يصفه سفرُ الجامعة مطلع على الحقيقة، والمرأة التي يصفها سفر ابن سيراخ مشاكسة، وابناء الموعد هم قتلة اخوتهم منذ الجيل الاول. موجز القول، نرى الاشرار يفلحون، والباريحيا في شقاء، وايوب يلعن اليوم الذي وُلد فيه والأم التي انجبته. ان هذا الكتاب المصوّر بعيد كل البعد عن منظر زاهٍ. فهو غارق في الشر والخطيئة. ومع ذلك، ففي صميم افدح الشدائد، يتأكد الامل ويظهر الرجاء ذاته. فاشعيا وارميا وحزقيال ودانيال وجميع الانبياء الكبار ينعشون الرجاء المشيحاني في قلوب الناس. والمزامير تنشد الايمان بالرب حامي البشر ومخلصهم ومحرِّرهم من عبودية الناس ومن ظلم الغرباء وتعسّف الاقوياء، وهو أيضا محرِّرهم بصورة أولى من هذه العبودية وهذا الطغيان الداخلي الذي هو الخطيئة القابعة في قلب الانسان. وهذا الرجاء يلحم العهد القديم بالجديد بالعذراء مريم. فان رجاءها كان من القوة بحيث اتّخذ جسداً فيها: الكلمة صار جسداً. كلمة الله الازلي تجسد في احشائها الوالدية. وقد آمنت مريم، وكانت راسخة في ايمانها، رغم الساخرين والمشككين، وسط الدموع والمصائب، وحيدة، واقفة عند اقدام الصليب، وقد غمرها الالم، ولكنها كانت غائصة في الله. وقد جاء المسيح ذاته، ما وراء الموت، وأيّد رجاءها. انه المنبعث والحي، وهو يمنحنا الحياة، في نفحة الروح المحيي.

٤ ـ المحبة دائماً وأبداً

كيف لا نرجو نحن ايضا بدورنا؟ فاننا ننال كل شيء من الله، بقدر ما نرجو منه ذلك، كما تقول لنا القديسة تريزة الصغيرة. لان الايمان يثير الرجاء الذي هو ثمرة المحبة. وهكذا، منذ العصور الاولى، كان ابراهيم يرجو ضد كل رجاء. وكذلك المزمِّر الذي كان يلمح، ضد جميع المظاهر، بشروق فجرٍ

جديد ما وراء مسكن الاموات. فقال للرب بثقة: «انك لن تترك في مثوى الاموات نفسي، ولن تدع صفيَّك يرى الهوة» (مز ١٦ / ١٠). وهكذا كانت المحبة، ما وراء الزمن، تتوافق مع الدوام. فلن يسع الموت ان يكون انفصالا نهائيا، بل هو عبور سرّي، مثل فصح الرب: فهو بموته انتصر على الموت، وبقيامته منحنا الحياة.

٥ ـ الايمان ذو ألوان الرجاء

ومنذئذ يعاش الايمان تحت الوان الرجاء، في محبة لا غموض فيها. والليتورجيا تزوّدنا بصورتها، اذ ترمز لنا مسبقا وبنوع سرّي الى مدينة الله. ولكن أية ليتورجيا ستستطيع قط ان تقدم لنا الصورة الناضحة بالسعادة الانجيلية: سيشع البار مثل الشمس، ساطعا مثل نجمة الصبح وملتحفا بمجد العلي العظيم. اليس هو، منذ هذا العالم، مغمورا بجميع الوعود الانجيلية: ماء للسامرية، خبز للشعب الجامع، شبكة طافحة بالسمك للصيادين، جواهر نفيسة للتجار، كنز غير متوقع تحت معول الباحث، حنطة تدر مائة ضعف للفلاح... ؛ ففي صميم المحنة ذاتها، يظهر فرح الانسان لكونه محاطا بحنان الله، ويتذوق منذ هذه الارض مذاقا من الفردوس، ويختبر شيئا من السماء التي قد بدأت في قلب المتواضعين، والتي كانت تشع من اناس امثال خوري أرس والقديس فرنسيس الاسيزي، والتي تتجلى عند تريزا ام الفقراء في الهند، كما عند الاب شارل دي فوكو أو عند القديس ماكسميليان كولب.

٦ ـ الرجاء هو العمل

أمام هذا الرجاء بالمحبة الذي هو الايمان، ينكشف وهن الأيديولوجية، لان الخيال قد تحقق. فقد بدأ المستقبل، واصبحت الجمعة العظيمة مؤقتة، في حين ان القيامة اصبحت نهائية. فان ايمانا دون رجاء لن يكون سوى اليأس. واذ يحتج الرجاء على الحاضر، فهو يشهد للمستقبل

ويدعوه ويبنيه. فانه يأخذ الامور ليس كما هي، بل كما تسير، في هذه الدينامية التي فيها الحاضر ينادي المُقبل، هذا الميلاد الجديد الذي كان يسوع يحاول إفهامه لنيقوديمس (يوحنا ٣/١-٢١). فالرجاء، بصفته نبويا وجريئا، يغيّر حنين الماضي الى قوةٍ للمستقبل. انه مجاني مثل نبع في الساحة، ومثل ابتسامة على الوجه، ويشتهيه الانسان مثل جمال لا ينضب.

ان رجل الايمان هو رجل الرجاء الذي يحرث حقله ويزرع اخاديده ويجعل تقلبات الحاضر نسبية، مع هذا مذاق السعادة الذي يمنع الرغبة من التقلّص عند اشكاله المنتهية، ولكنه يستمد منها منذ الآن ملء التحقيق، من خلال ظهور العلامات. فمن ذا الذي يعطي جميع غير المؤمنين في العالم ان يكتشفوا في الكنيسة من جديد هذا الشعب الغفير الذي يوسّع تحقيقُ الوعدِ رجاءه ويمدّه الى اقاصي العالم والتاريخ؟

الرجاء هو العمل. من خلال عقبات الحياة، يجسّد المسيحي في ايمانه رجاءه في المحبة. فلا الاخفاق ولا الموت بوسعهما ان يحتويا جهوده المتواضعة التي قد تجلّت من الآن في قيامة المسيح. ففي يقين محبة المسيح المخلّص، ليس من ورطة لا خلاص منها، ولا من كائن لا رجاء فيه. ويقول القديس بولس ان المؤمن يحيا ايمانه بتواضع «لانه يحمل هذا الكنز في آنية من خزف» (٢ قور ٤/٧)، ولكنه «ثابت على امره كأنه يرى اللامنظور» (عبر ١١/٢٧).

٧ ـ زمان الرجاء

ان المسيحي، في عشية الالف الثاني، يحيا نوعا ما في زمان مجيء جديد. الا ان زمن الانتظار هذا ليس زمان البطالة والكآبة. انه على النقيض من ذلك زمان اعلان البشرى السارة، بشرى محبة المسيح للناس اجمعين، اخوته، المحاطين بحنان محبة الآب كما يكشفها لنا الروح القدس. ان قناعة الايمان من العمق مثلما تعلنها عاليةً واضحةً الكلمات الاولى من الرسالة الاولى التي وجها البابا يوحنا بولس الثاني: «ان فادي الانسان، يسوع

المسيح، هو في محور الكون والتاريخ» (فادي الانسان، ٤ آذار ١٩٧٩، عدد١).

٨ ـ مع غير المؤمنين

يحاول المسيحي، بوداعة واحترام، ولكن بحرارة وقناعة ايضا، ان يتقاسم رجاءه بالمسيح المخلص مع جميع الذين لا يشاطرونه الايمان، ولكن محبة واحدة تنعشهم. اليس المسيح عاملا منذ بدء العالم؟ اليس روح حقيقته ونوره هو الذي وضع في قلب جميع البشر ذوي الارادة الصالحة، أياً كان دينهم او معتقدهم، وحتى اذا اعلنوا عدم ايمانهم او الحادهم الجماعي، هذه «بذور الكلمة»، حسب تعبير آبائنا في الايمان، وهذه حجارة الاساس، او هذه نقاط الارساء، كما نقول اليوم؟ فان جميع هذه القيم تدعم حياة البشر والأسر والامم، في قلب حياة الشعوب خلال العالم. انها الايمان في الاسرة، والحب الزوجي، والتفاني الوالدي او الابوي، والمحبة البنوية والاخوية، وذوق العمل المنجز حسنا، ومعنى الجمال، ومتابعة الخير، والبحث عن الحقيقة، وبناء العالم، وطاقة الانسان على عقد صداقة وعلى التأمل والاندهاش وأنسنة العالم، وطاقة الانسان على ان يرى وجوهاً اخوية ما وراء جميع الحدود التي تفصل البشر... ان هذه الطموحات الكثيرة التي يسعى اليها الانسان باصرار، وهذه الاهداف التي يبحث عنها بتجرد، وهذا الجهد المبذول يوما فيوما في سبيل بناء مدينة البشر، لا يمكن ان تبقى غريبة عن مدينة الله، المبنية بحجارة حية والتي ملاطها هو المحبة.

٩ ـ العذراء مريم: انشودة «تعظّم»

ان المسيحيين الذين ينعشهم الرجاء والايمان بمحبة الله، يبتهجون بهذه الامور كلها في وسط محنهم، وهم على يقين من ان المحبة اقوى من الشر، وان الحياة اقوى من الموت. فحينما نظر الله الى ما خلقه، وجد ان كل شيء حسن. وصارت خطيئة الانسان فرصة لله لكي يظهر له محبة عظمى، اذ

ارسل له ابنه الخاص، ثم اقامه بعد الموت. اجل، هذا ما كانت العذراء مريم تنشده في سر التجسد، في انشودتها الرائعة:

«تعظِّمُ الربَّ نفسي
وتبتهج روحي بالله مخلصي.
لانه عطف على أمته الوضيعة.
سوف تهنئني جميع الاجيال.
لأن القدير آتاني فضلاً عظيما،
قدوس اسمه.
ورحمته من جيل الى جيل
للذين يتقونه.
كشف عن شدة ساعده،
فشتّت ذوي القلوب المستكبرة.
وضع الاعزاء عن العروش،
ورفع المتواضعين.
أشبع الجياع من الخيرات،
وصرف الاغنياء فارغين.
نصر عبده اسرائيل،
فتذكر رحمته،
وما وعد به آباءنا
لابراهيم وذريته الى الأبد» (لوقا ١/٤٦-٥٥).

١٠ ـ أم المؤمنين

صارت مريم في حيرة من امرها امام البشرى الخارقة التي زفّها الملاك اليها. فاجابت في الايمان: «ها انا امة الرب، فليكن لي كقولك» (لوقا ١/٣٨). واذ اصبحت هكذا امَّ الاحياء لكونها ام ذاك الذي هومصدر الحياة، فانها قاسمت على الفور فرحها مع نسيبتها اليصابات في سر الزيارة،

ومع الرعاة والمجوس عند الميلاد، ومع التلاميذ الاوائل في عرس قانا. وبما ان مريم هي ام المحبة الجميلة والرجاء الوطيد، وهي ام الآلام والاوجاع عند اقدام الصليب، وشريكة في فرح قيامة ابنها، وهي من ثمة قد صارت معه في مجد الآب، فانها، بحياتها، كما يقول المجمع الفاتيكاني الثاني: «مثال المحبة الوالدية التي يجب ان تنعش جميع الذين، باشتراكهم في مهمة الكنيسة الرسولية، يعملون على ولادة الناس من الروح».

«وكما ان ام يسوع في تمجيدها الآن في السماء بجسدها وروحها هي صورة وبدء الكنيسة التي ستبلغ كمالها في الدهر الآتي، هكذا فانها تزهو على هذه الارض كعلامة العزاء والرجاء الاكيد لشعب الله في حجّته الى ان يأتي يوم الرب.» (دستور عقائدي في الكنيسة، عدد ٦٥ و٦٨).

ان الانسان المسافر، وهو في حجته الارضية، متأكد منذ الآن من الحياة الابدية، فيسير مع جميع اخوته، وهو يردد بتواضع وحرارة ما جاء في الانجيل: «اومن يا رب، فشدِّدْ ايماني الضعيف». (مرقس ٩/ ٢٤).

الفصل الرابع

ايمان الكنيسة

١ ـ قانون ايمان نيقية

ان الكنيسة تعبّر عن ايمانها خاصة في قوانين الايمان. وهي صيغ تُعرب باختصار عن جوهر الايمان. وهناك كثير من هذه الصيغ، ابتداء من قانون الايمان المنسوب الى الرسل. ولكني اخترت مرجعاً لهذا البحث قانون الايمان المسمى بالنيقاوي. وقد وُضعت نواته في مجمع نيقية الاول سنة ٣٢٥، وأكمل في مجمع القسطنطينية الاول سنة ٣٨١ الذي يوضح بعض نقاط اساسية من المعتقد الخاص بالثالوث: الله الآب والابن والروح القدس.

ان ما حداني الى هذا الاختيار هو ان هذا القانون القديم الذي وضعه آباؤنا قد نال حظوة في الكنيسة، فأنشدته منذ اجيال طويلة في القداس الاحتفالي المقام ايام الآحاد والاعياد من السنة الليتورجية، ويجده المؤمنون في جميع كتب الصلاة. انه ايمان آبائنا، وايمان الكنيسة، وايمان العماد:

«ماذا تطلب من الكنيسة؟

ـ الايمان».

٢ ـ تقليد عريق

كان عهـد ـ ومـا زال الأمر جاريا في عديد من الأسر المسيحية الامينة ـ فيـه كانت الاسـرة كلها تجتمع مساء للصلاة حول الموقد. وكان الحنان يغمر جميـع افـراد العـائلة. وبـالـرغم من التعب الذي كان يرهق الوالد او الوالدة، فانهما ما كانا ليتهربا قط من هذا الواجب المقدس، موعد الايمان. «الايمان هو حينمـا نتكلم مع الله كمـا نتكلم مع انسـان». وكـانت الأسـرة هكـذا تحيا تقليداً متواصلا عبر ألفي سنة في حياة الكنيسة: فكانت الاسرة تتلو معا صلاة الـورديـة ثم طلبـة القـديسين، وتختم صلاتها بالصلاة الربية، واخيرا تتلو معا قانون الايمان. وقد جاءت تعاليم الكنيسة لكي تقول لنا ان الاسرة هي كنيسة عائليـة صغيـرة، وان الليتـورجيا العائلية تنضم الى الليتورجيا الكنسية الكبيرة التي تتلو قانـون الايمـان في قلب ليتـورجيـا الآحـاد، والاعياد، بمثابة تذكيرٍ بعمادنا، وهو احتفال حقيقي بسر الايمان.

وما ابلغ ما يقوله القديس اوغسطينس بهذا الصدد:

«اتـل قانـون ايمـانـكِ كل الايـام، حينما تنهض صباحا، وحين رقادك مساء. اتلُ قانونك، اتله امام الرب، وتذكرْ مضمونه، ولا تملّ من تكراره.

«انظر الى ذاتك في هذه المرآة. لاحظ، ان كنت تؤمن حقا بما تعترِف به، وابتهجْ كل الايام بايمانك. ليكنْ غناك، وليكن نوعا ما ثوبِ نفسك الذي ترتـديـه كل يوم. الا ترتـدي ثيابك بعد نهوضك من النوم؟ فوشّح نفسك ايضا بتكرارك قانون الايمان، لئلا يجعلك النسيان عارياً» (خطبة ٥٨، ١٣)

٣ ـ وحي للانسان

في قلب قانون الايمان المسيحي، يأتي التأكيد القديم للايمان انشودة شكـر ورجـاء: «لاجلنـا نحن البشـر ولاجـل خلاصنا، نزل من السماء...» فالانسـان غايـة التجسـد، كمـا يطيب للبابا يوحنا بولس الثاني ان يردد ذلك: «في قلب رسـالـة المسيـح يوجد الانسان، الانسان كله. ومن خلال الانسان توجـد الامم، جميـع الامم. فالبشـرى الانجيليـة ليست موجَّهة الى الانسان

حسب، بل انها الرسالة المشيحانية الكبرى عن الانسان، وانها وحي يوجَّه الى الانسان ليكشف له عن حقيقته الكلية وعن دعوته في المسيح.»

حينما يُنعت تعليم الكنيسة اليوم بأنه بدون معنى وغريب، فذلك اشارة الى وجود سوء فهم خطير تنبغي إزالته. فان الخلق، هو الله الذي يخلق الانسان، والتجسد هو الله الذي يصبح انسانا، والفداء هو الله الذي يخلص الانسان. وبهذا المعنى، فان الوحي كله، مثل رسالة الابن والروح القدس، لا وجود له الا بالنسبة الى الانسان. فالايمان ليس غريبا عنه، بل يعنيه بالدرجة الاولى. وليس دون معنى، بل هو الذي يولي حياة الانسان معناها كله وملء مدلولها.

واليكم النص الكامل لقانون الايمان الذي سنتبعه خطوة فخطوة، لانه يعبّر عن ايمان الكنيسة.

قانون ايمان نيقية ـ القسطنطينية (٣٢٥ ـ ٣٨١)

اؤمن باله واحد،
الآب الضابط الكل،
وخالق السماء والارض،
وكل ما يرى وما لا يرى.

وبرب واحد يسوع المسيح،
ابن الله الوحيد،
المولود من الآب قبل كل الدهور.

ايمان الكنيسة

لا يدخـل المسيحي في الايمـان منفـردا. وليس هو الأول في مسيـرة الايمـان. فقـد سار قبله على طريق الايمـان اجيال عديدة من المؤمنين، منذ ألفي سنة. فسواء صلى المسيحي وحده في غرفته، اوفكّر، اواشتغل، عليه الا ينسى قط انه متضامن في الكنيسة مع الاخوة.

١ ـ ان الله هو الـذي قد أحبنـا (١ يوحنـا ٤/١٠). واستطيـع القول مع القـديس بولس: «ان كانت لي حيـاة بشرية، فانها في الايمان بابن الله الذي أحبني وضحّى بنفسه من اجلي» (غلاطية ٢/٢٠). فلم هذا الحب كله؟ وما هو جوابك عليه؟

٢ ـ ليس الايمان ضماناً للوصول الى السعادة، لا في هذا العالم، ولا في الآخرة. انه بالاحرى مغامرة. ما الفرق بين المعنيين؟

٣ ـ يقـول المثـل الشعبي: «ان عين الانسـان لا تشبع». هل هناك في حياتك او في حياة الاخرين أمثلة تثبت حقيقة هذا المثل؟ الى ماذا يشير هذا التفاوت بين محدودية الانسان وأمانيه اللامحدودة؟

التأمل والاتحاد

ان الصـلاة التأمليـة هي ثمـرة الايمان والمحبة. الا انها تغذي بدورها هاتين الفضيلتين وتقـوّيهمـا، وبالتالي تزداد كمالا، حتى تصبح النفس أقرب الى الله. لكن هذا الامر لا يتم بفعل جهد الانسان، بل بفعل الروح القدس الـذي يحـوّل النفس المؤمنـة من الـداخل، وهي تطاوع عمل الروح القدس بمساهمة حرّة ومسؤولة.

ان التقـوى المسيحيـة تأخذ اشكالا مختلفة. فيتمسك البعض بصورة المسيح كما تتّضح من الانجيل، وينظر غيرهم الى الله الخالق المتسامي عن الكـون، ويعيش البعض السـرّ الثالوثي بانتباه اوضح الى عمل الروح القدس وهو يرسم فينا صورة الابن الذي يقودنا الى الآب، كما في الصلوات الطقسية العـريقـة، حيث تُرفـع الابتهالات بنوع خاص الى الآب، بواسطة الابن وفي الـروح القـدس. وان صلاتنـا انمـا هي مشاركة في صلاة كلمة الله. وقد قال اوريجانس: «ان الكلمة ليس منفردا في صلاته».

من كتاب «الله حياتنا»

للاب الدكتور اغناطيوس ديك، ص٢١٤

اله من اله
نور من نور
اله حق من اله حق:
مولود غير مخلوق،
مساوٍ للآب في الجوهر،

الذي على يده صار كل شيء.
الذي من اجلنا نحن البشر، ومن اجل خلاصنا.
نزل من السماء،
وبالروح القدس،

تجسد من مريم العذراء
وصار انسانا
وصُلب عوضنا في عهد بيلاطس البنطي.
تألم ومات ودُفن.

وقام في اليوم الثالث
كما في الكتب،
وصعد الى السماء
وجلس عن يمين الآب،
وسيأتي في المجد
ليدين الاحياء والاموات،

ولن يكون لملكه انقضاء.

اؤمن بالروح القدس،

الرب المحيي
المنبثق من الآب والابن
ومع الآب والابن
يُسجد له ويُمجّد
الناطق بالانبياء.

اؤمن بكنيسة
واحدة، جامعة، مقدسة، رسولية.

أقرّ بمعمودية واحدة
لمغفرة الخطايا.

وأنتظر قيامة الموتى
والحياة الجديدة في العالم العتيد. آمين

١ ـ اؤمن باله واحد، الآب الضابط الكل

جميع الكلمات ثقيلة بالمعنى في هذه العبارة. فأنا الذي اؤمن. والايمان فعل شخصي مؤسس على شهادة تؤدي الى الاذعان، ومتأصل في تقليد ايمانيّ حيّ، ومقتسم في شركة حية، شركة الكنيسة، جماعة المعتمدين. لان الايمان يُتلقى، والعماد هو سره، كما تشهد لذلك رتبة العماد القديمة التي وصلتنا من الاجيال الاولى: «ماذا تطلب من كنيسة الله؟ ـ الايمان.»

اؤمن، بنعمة الله، بما قاله لي عن سره بيسوع المسيح، كلمته

المتجسد، كلمة الله الذي صار جسدا في احشاء العذراء مريم. اؤمن بذلك. ولا اشك فيه. ان الامر ليس واضحا لي، ولكني مقتنع بان المسيح يقول الحق، وانه يجلب لي الحقيقة عن الله وعن الانسان. ويقول المجمع الفاتيكاني الثاني: «ان سر الانسان لا يستنير حقا الا في سر الكلمة المتجسد» (الفرح والرجاء، عدد ٢٢).

في حياة يسوع وموته، وفي ارساله روحه القدوس، اجد معنى لحياتي وموتي، ومعنى لحياة وموت الذين احبهم، بل لجميع البشر. ان الايمان يثبت يقيني في الحياة، اذ يواصله في ذلك الذي هو مصدر الحياة. وهو يبدّد دوار العدم، وغصَّة الشك، لانه مستند الى الصخر الذي هو الله.

فما وراء جميع الكلمات، وما وراء المفاهيم الواضحة، تنكشف لا نهاية الله مثل شخص حيّ ومصدر المحبة، من خلال المحبة المصلوبة في يسوع المسيح. ففيه يتضح كل شيء: الانسان والله، حسب التعبير القوي الذي قاله باسكال: «اننا لسنا فقط لا نعرف الله الا بيسوع المسيح، بل لسنا نعرف ذاتنا الا بيسوع المسيح، اننا لا نعرف الحياة والموت الا بيسوع المسيح. وخارجا عن يسوع المسيح نجهل معنى حياتنا وموتنا ومعنى الله ومعنى ذاتنا» (خواطر، عدد ٥٤٨).

الا ان يسوع المسيح قدّم ذاته كمُرسَل. وعلّمنا وهو على وعي برسالة يجب عليه القيام بها قائلاً: «ليس تعليمي من عندي، بل من عند الذي ارسلني» (يوحنا ٧/١٦)، وألحّ بقوله: «لست وحدي، بل انا والذي ارسلني... ولو عرفتموني لعرفتم ابي» (يوحنا ٨/١٦-١٩). فليس الله اذن كائنا بعيدا ومنعزلا. فهو اذ يكشف عن ذاته بابنه، يكشف عن كونه أباً ومصدراً ازليا للحياة، كما توحي بذلك صورة العلّيقة المضطرمة التي تلتهب دون ان تحترق امام موسى المنذهل (خروج ٣). فليس ثمة الا اله واحد. وما الاصنام سوى ركام زائل من مادة خاضعة للاحتراق والزوال. اما الله فهو «الكائن» (خروج ٣/١٤)، وهو ذاك الذي هو المحبة (١ يوحنا ٤/٨).

خالق السماء والارض

١ ـ الخالق

«فيه لنا الحياة والحركة والوجود» (أع ١٧ / ٢٨)، كما صرح القديس بولس بذلك للاثينيين. فالسماء والارض، اي كل ما هو موجود، يأتي منه، ويوجد به، ويحيا منه، ويذهب اليه: انه الخالق الذي يمنح كل واحد الوجود والحياة. وخارجا عنه، كل شيء هو طارىء، اي ليس له سبب وجوده. وتعترف الكنيسة بذلك في قلب صلاتها الاوخارستية: «انت الاله الأوحد، الاله الحي والحقيقي: كنت قبل كل الازمنة، وتمكث بعد جميع الدهور، نوراً ما وراء كل نور. انت اله الجودة، ومصدر الحياة، خلقت العالم لكي تكون كل خليقة مفعمة ببركاتك، وان يبتهج الكثيرون بنورك» (الصلاة الاوخارستية الرابعة).

وكل ما يُرى وما لا يُرى

٢ ـ الملائكة

ان الكون كله هو صنع يدَي الله، وليس ما نراه بأعيننا حسب، بل كذلك المتناهي في الصغر الذي نكتشفه بالمجهر، والمتناهي في الكبر الذي نستطلعه في الراصدة (التلسكوب). وكذلك تلك الكائنات غير المنظورة التي يشهد الكتاب المقدس لحضورها والتي نسميها «الملائكة». انها كائنات كلها فكر ومحبة، وهي ترى وجه الله الذي لا تتسنى للانسان رؤيته على الارض دون ان يموت. وهكذا فالمسيحي ليس وحيدا قط. وكما يعلّمه تقليد الكنيسة، فان ملاكه الحارس يرافقه، وكذلك جميع ملائكة السماء الذين يعدّدهم القديس بولس باندهاش من ملائكة ورؤساء ملائكة: جبرائيل وميخائيل ورفائيل، والعروش والسلطات والسادات، الخ . . . وندعوهم «الملائكة الصالحين».

وهذا يشير الى ان هناك ملائكةً اشراراً ايضا. وندعو واحدا منهم بصورة خاصة رئيس الشياطين، والشرير، والشيطان، ولوسيفورس. وهو قدرة سرية

مشخّصة للشر الذي نراه يظهر منذ بدء الخلق وتاريخ الخلاص، في الصفحات الاولى من سفر التكوين من العهد القديم، ويتجلى بقوة منذ الصفحات الاولى من العهد الجديد.

ويقول الاب دي غرانميزون: «ان يسوع، منذ مطلع رسالته، جابه قدرةً روحية حاولت، عن طريق الاغواء والتخويف، بأن تجعله ينحرف عن رسالته.» وكذا كان الشأن مع التلاميذ، ولا عجب في ذلك: «سمعان، سمعان، هوذا الشيطان قد طلبكم ليغربلكم كما يغربل القمح. ولكني دعوت لك الا تفقد ايمانك» (لوقا ٢٢/٣١-٣٢).

فان قدرة المسيح هي الاقوى، كما نرى ذلك في قصة الاعاجيب حيث ينال المرضى الشفاء ويتحرر الممسوسون. ويطلعنا القديس يوحنا على ما أسرّ به يسوع يوما حينما قال: «اليوم دينونة هذا العالم، واليوم يُنبذ سيد هذا العالم» (يوحنا ١٢/٣١).

وكانت الهجمة شرسة، منذ التجربة في البرية حتى الرسالة العلنية والى النزاع في بستان الزيتون الذي يبدو وكأنه يؤكد اخفاق يسوع. الا ان يسوع ينتصر في هذا الصراع: «اذا كنت باصبع الله اطرد الشياطين، فقد وافاكم ملكوت الله» (لوقا ١١/٢٠). وكذا الشأن مع تلاميذه الذين عادوا من رسالتهم وقد غمر الفرح نفوسهم قائلين: «ربنا، حتى الشياطين تخضع لنا باسمك». واذا بيسوع يعلن لهم بنبرة الانتصار: «كنت ارى الشيطان يهوي من السماء كالبرق» (لوقا ١٠/١٧-١٨).

٣ - الانسان

ان الانسان يشغل مكانةً لا تُضاهى في التصميم الاول للكون المنظور: «فقد خلقه الله على صورته ومثاله، رجلا وامرأة» (تكوين ١/٢٦-٢٧)، وسلمه الكون، اي الطبيعة كلها وجميع الكائنات التي تملأها. لذا فان المسيحي يؤدي الشكر اذ يحتفل بالاوخارستيا قائلا: «ايها الآب القدوس، اننا نعلن انك عظيم، وانك خلقت الاشياء كلها بحكمة ومحبة، وخلقت الانسان على صورتك واعطيته الكون، لكي، حينما

يخدمك، انت خالقه، يملك على الخليقة».

هذا هو النــور الـذي يسلّطـه الايمـان على سر الانسـان: من انـا؟ ما الانســان؟ لمـاذا الشـر والالـم والموت؟ من اين تأتي الحياة؟ لماذا حُكم عليّ بأن اشيخ واتألم واموت، في حين اني اودّ ان ابقى شابا وسعيدا على الدوام؟ ولِمَ هذه المصـائب كلهـا من حولي وفيّ؟ لا احـد يستطيـع التهـرب من هذه الاسئلة التي تعذب الانسان منذ آلاف السنين، وهي تجتاز من خلال الكتاب المقدس كله، من سفر التكوين حتى سفر الرؤيا، عبورا بأيوب والمزامير.

٤ ـ الحالة البشرية

بينمـا تتقـدم غزوات الانسـان بخطى جبـارة، وتكشف له الطبيعـة عن اسرار الذرة والكواكب، فهويلقى ذاته قلقا امام نتيجة بطولاته: مصادر الطاقة التي تنضب، المدن التي تتعرض للتلوّث، والذرة التي تصبح فتّاكة. وتلاحقه دومـا هذه الاسئلة المـزعجـة: نريد ان نحيا، ولكن علينا ان نموت. نريد ان نكـون سعـداء، ولكن علينـا ان نتألم. نريـد ان نعمـل الخيـر، ولكننا نعمل الشـر. نريـد السـلام، ولكننـا نشن الحـرب. فكل الادب والشعر مليئان منذ آلاف السنين بهـذا الصـدى المأسـوي الذي تردده طبيعة الحالة البشرية. ولا يتـوقف الامـر على كدس صغيـر وبـائس من الاسـرار، كما رآه «مالرو» حينما اكتشف وهن الانسان. فان زمان العالم المنتهي قد ابتدأ. ولا يسعنا من بعد ان نتجـاهـل صرخة البشر الذين يتألمون ويتعرضون للعنف ويموتون، ولا ان نتغاضى عن المظالم الكثيرة او عن شقاء الابرياء...

لقـد ظن جيـل برمتـه ان للتـاريـخ معنى. وادّعت ذرية ماركس ونيتشه المتعجرفة بانها تمسك بمفتاح هذا المعنى. ولكن هوذا عالم «المعتقلات»، وحـزن العـالم العصـري قد ابعدا عن الاذهان اسطورة الانسان المثالي، مع اسطورة عالم الغد العادل اخيرا، ذلك لان هذا الخيال برهن عن كونه فتّاكا، وهـذه الايـديـولوجية قتّالة. فالناس ما يزالون يموتون دون ان يحظوا بالسعادة المنشودة، وقد ابتلعت الخدع الذهبية المنادية بالنمو اوهامهم وأذكتْ خيبة آمالهم.

الايمان بالاله الواحد الآب خالق الكون

١ - يصوّر لنا الكتاب المقدس الله في ملامح بشرية: يتكلم، يأمر، يَعد، يهدّد، ينتقم، يسامح، يغار، يغضب، يندم، يشعر بالفرح والحزن، بالمحبة او الكراهية. فهل تعني هذه الالفاظ البشرية ان الله هو مثل الانسان في تقلّب عواطفه وطبعه ومزاجه؟ ام ان وراء هذه الالفاظ فكرة اخرى؟ ما هي؟

٢ - يسوع يتحدث عن الآب السماوي ويقول: «لا تهتموا لانفسكم بما تأكلون ولا لاجسادكم بما تلبسون. اليست النفس افضل من الطعام، والجسد اعظم من اللباس؟ انظروا الى طيور السماء، فانها لا تزرع ولا تحصد، ولا تجمع الى الاهراء، وابوكم السماوي يقوتها... أفلستم انتم افضل منها بكثير؟» (متى ٦/٢٥-٢٦). هل يعني هذا القول الاستسلام الى البطالة والكسل؟ ام هل فيه معنى اعمق؟

٣ - في نظر يسوع، ليس الله اله الكبت والضغط والاكراه، بل هو الاله الذي يحرّر الانسان من الحواجز البشرية. كيف قدّمه لنا يسوع من خلال تعاليمه وامثاله؟

٤ - يقول يسوع لمستمعيه: «كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي كامل» (متى ٥/٤٨). فهل بوسعنا نحن البشر الضعفاء المحدودين ان نتشبه بكمال الله؟ كيف؟

٥ - كثيرون يتصورون ان عمل الخلق تم على مراحل في الزمن: ففي المرحلة الاولى لا وجود لكائن آخر غير الله، وفي المرحلة الثانية يقرر الله خلق العالم، وفي المرحلة الثالثة ينفّذ الله قراره. فما معنى هذا التصور الذي يستخدم لغة البشر؟ ونحن نعلم ان عمل الله لا يمكن ان يكون على غرار عمل الانسان.

اله العهد الجديد المحبة المتدفقة

ان الله يبقى في ذاته فوق متناول العقول. واننا لا نعرفه الا من خلال ما يكشفه لنا من عطفه. عندما سأل موسى الله: ما اسمك؟ سمع هذا الجواب: ني «يهوه»، انا الذي هو. سأكون معك. وستعرفوني لكوني اكون معكم، ومما اعمله لاجلكم. في المسيح يسوع يظهر الله حضوره بين البشر الى ابعد درجة ممكنة، وحبه لهم الذي يفوق كل حد. الا اننا لا نستطيع ان نقرأ الله من خلال يسوع المسيح الا بنور الروح القدس.

من كتاب «الله حياتنا»

للاب الدكتور اغناطيوس ديك - ص١٩٨

٢ ـ اؤمن بيسوع المسيح

ان المسيحي، شأن كل انسان، ليس بمنجى من هذه الاسئلة ومن هموم الحياة اليومية المزعجة ومن منظور نهايته المقلق، ولكنه يقدِّم لهذه الاسئلة جوابا، هو الجواب عينه الذي يمنحه اياه ايمان الكنيسة:

١ ـ الايمان بيسوع المسيح

«اؤمن برب واحد يسوع المسيح
ابن الله الوحيد
المولود من الآب قبل كل الدهور:
اله من اله،
نور من نور،
اله حق من اله حق،
مولود غير مخلوق،
مساوٍ للآب في الجوهر
الذي على يده صار كل شيء،
الذي من اجلنا نحن البشر، ومن اجل خلاصنا،
نزل من السماء،
وبالروح القدس،
تجسَّد من مريم العذراء
وصار انسانا.
وصُلب عوضنا في عهد بيلاطس البنطي،
تألم وماتَ ودُفن.
وقام في اليوم الثالث،
كما في الكتب،
وصعد الى السماء
وجلس عن يمين الآب.

وسيأتي في المجد،
ليدين الأحياء والاموات،
ولن يكون لمُلكه انقضاء.»

٢ ـ صميم الايمان

هذا هو صميم الايمان لكل مسيحي، كما تلقّاه من الكنيسة. انه ايمان الآباء والشهداء، ايمان القديسين واللاهوتيين، ايمان بطرس والرسل، ايمان البابا والاساقفة، ايمان جميع المؤمنين في كل الكنائس المحلية التي في العالم كله هي في شركة ايمان مع الكنيسة الجامعة. وفي هذا الايمان اريد ان احيا واموت.

لنسمع القديس يوحنا وهو يعطينا شهادته المؤثرة لهذا الايمان، في غروب حياته الرسولية الطويلة: «ذاك الذي كان منذ البدء، ذاك الذي سمعناه، ذاك الذي رأيناه بعينينا، ذاك الذي تأملناه، ذاك الذي لمسته يدانا، من كلمة الحياة، نبشّركم به. اجل، ان الحياة تجلت لنا، فرأيناها ونشهد لها» (١ يوحنا ١/١-٢).

ان بشرى الانجيل السارّة هي التي تغيّر الحياة تغييرا جذريا. فليس الانسان من بعد وحيداً امام سر حياته وموته المقلق. فقد جاء انسان، وكان هذا الانسان ابن الله، الكلمة المتجسد. ومات وقام وهو حي دوما ويدعونا سريا الى مقاسمة حياته منذ وجودنا على الارض، ريثما نحياها، ما وراء موتنا، والى الابد.

٣ ـ عظائم الله

هذه هي عظائم الله. لان المسيح هو ابن الله مع كونه انسانا ولد من العذراء مريم: انه سر التجسد. لقد كشف الله عن ذاته بيسوع المسيح الذي هو واحد منا ومن جنسنا البشري، ومن حالتنا البشرية، لانه وُلد وتألم ومات قبل ان يُبعث حيا. وقد زوّدنا الانجيليون الاربعة: متى ومرقس ولوقا ويوحنا،

بقصته باربعة اوجه متناغمة بنوع مدهش. ان الله صار انسانا، لكي يصبح الانسان الهاً، ولكي ينضمّ الى اله المحبة، بعد ان يُنتزع من الخطيئة. وتضحي حياته حتماً متغيّرة بهذا الامر، لان هذا الوحي مثير حقا. ويقول لنا القديس اوغسطينس، اسقف مدينة هيبون في افريقيا الشمالية، في القرن الرابع: «لقد جاء المسيح خاصة لكي يعلم الانسان كم ان الله يحبه!»

ويقول القديس بولس لتلاميذه القورنثيين: «ما لم تره عين، ولا سمعت به اذن، ولا خطر على قلب بشر، ما أعده الله للذين يحبونه» (١ قور ٢/٩). فالمسيحي، من اعمق كيانه، ينضمّ الى سر الله هذا الذي يصبح حاضرا بيسوع المسيح. انه صميم الايمان الذي بدونه يتبدد النور، ويصبح كل شيء مريبا. ولكنه سر ايمان يطفح من كل جهة، ويتجاوز عقل الانسان. فلو انه رأى بعينيه او بحدسه العقلي، لما كان ثمة ايمان، بل عيان. وهذا الايمان نور. فان حقيقة الايمان تشعّ في عقلنا، حسب كلام القديس اوغسطينس: آمِنْ لتفهم!»

٤ ـ الطريق والحق والحياة

بالكنيسة التي تنقل بشرى المسيح وتواصل سره في التاريخ، يصبح المسيحي في احتكاك مع ذاك الذي قال عن نفسه: «انا الطريق والحق والحياة» (يوحنا ١٤/٦). وهذا يعني ان الحقائق التي علّمها لا يمكن ان تكون منفصلة عن شخصه، وكذلك طريق الخلاص الذي دلّنا عليه في الانجيل، انه شخصه ذاته الذي قال عنه بطرس الرسول: «ما من اسم آخر تحت السماء أعطيَهُ الناس نستطيع به ان ندرك الخلاص» (أع ٤/١٢). وهذا ما يؤكده القديس بولس ايضا بقوله: «ان الله يريد ان يخلص جميع الناس» (١ طيم ٢/٤). فالمسيح اذن هو الخلاص للناس اجمعين، ولا معنى آخر لوجود الكنيسة سوى ان تعلن هذا الخلاص، وهذا يعني ان ايماننا لا يتوجه الى شخص خيالي، اله «الفلاسفة والعلماء»، كما يقول باسكال، او اله العقلانيين فيكون ثمرة عقلهم. ان المسيح شخص حي، وانسان واله بنوع لا يمكن الفصل فيه.

٥ ـ وُلد من مريم العذراء

ان ناسوتَه يربطه بشعب العهد والوعد. وقد حبلت به امه مريم بقوة الروح القدس وهي بتول طاهرة. فوُلد في بيت لحم اليهودية التي كان هيرودس ملكا عليها، وعاش اولا في مصر، لينجو من الموت الذي حاول الملك الطاغية ان يقضي به على خصم محتمل. ثم تربى في ناصرة الجليل حتى سن الثلاثين، وكان يوسف رجل مريم الشرعي يسهر عليه سهر الاب الحنون ويلقنه مهنة النجارة. وبعد هذه السنوات الثلاثين التي امضاها في حياة خفية، ما خلا حادثة صاعقة تخلّف فيها في الهيكل حيث وُجد وهو يعلّم حكماء شعبه ويجيب على اسئلتهم، شرع يُعلن البشرى السارة: ان الله يحب جميع البشر، ويدعوهم الى التوبة عن خطاياهم والى الاهتداء، ليتسنى لهم الدخول الى ملكوت الله: «توبوا، قد اقترب ملكوت السموات» (متى ٤/١٧).

٦ ـ انسان واله

ان المسيح انسان واله. فولادته وحياته وموته هي امور تعود الى انسان والى اله. فهو حقا واحد منا، ما خلا الخطيئة. ولقد ظهر وعي قوي بانسانية يسوع هذه لدى اشخاص برزوا في تاريخ القداسة، امثال القديس برنردس والقديس فرنسيس الاسيزي. وكانت مريم امه قد نذرت لله بتوليتها. لكن الله اودعها رسالة خارقة، وهي ان تلد المسيح دون ان تفقد بتوليتها. ولم يتغير تقليد الكنيسة قط بشأن هذه النقطة الاساسية: ان مريم هي حقا «تيوتوكس» اي ام الله.

٧ ـ ابن الله

يشير اليه يوحنا المعمدان امام الجميع قائلاً: «لا بد له من ان يعظم، ولا بد لي من ان اصغر. فانا لست اهلا لان احلَّ سير نعليه» (يوحنا ٣/ ٣٠ و ١/ ٢٧). انه الوحي الصاعق لحضور الله في العماد، قبل مجد طابور: «هذا

هو ابني الحبيب، فله اسمعوا» (مرقس ٩/٧). انه يتكلم مثل من له سلطان في رسـالتـه المتجولة التي خلالها يدعو تدريجيا بعض التلاميذ الى الالتحاق به، ومنهم يختـار رسله الاثني عشـر. انـه ينسب الى ذاته امتيازات الله ذاتها، غفران الخطايا، والمعرفة الخفية لأعمق ما في القلوب (انظر يوحنا ٢/٢٥). وتعليمـه اعـادة نظـر جذريـة في الشـريعة التي اعطيت لموسى: «سمعتم انه قيـل. . . . امـا انـا فاقول لكم» (متى ٥ ـ). واذا بهذه القواعد القديمة تصبح نسبيـة، وحتى السبت ذاتـه (متى ١٢/٨). واكثر من ذلك، فانه يدعو تلاميذه الـى ان يحـملوا صليبهم ويتبعـــوه، والى ان يتخلوا عن كل شيء، عن الاب والام، والعائلة والمهنة، في سبيله، وان يحبوه فوق كل شيء (لوقا ١٨/٢٩ ـ ٣٠). ويؤكد ان الدينونة الاخيرة سترتكز على العلاقات التي سيكون البشر قد اقـامـوهـا معـه (متى ٢٥/٣١ـ٤٦). وموجز القول، فان كل شيء في حياته: اقـوالـه وسلوكه والايات البيّنات التي اجراها، حتى انه اقام الاموات، يكشف شيئا فشيئا سرَّ شخصه: انه مُرسل الله، انه المشيح، ابن الله وابن الانسان، وهو يشاطر اباه كل شيء، حسب هذا التصريح الخارق الذي اذهل مستمعيه المتشبعين من جلال الله: «انا والآب واحد» (يوحنا ١٠/٣٠).

٨ ـ الموت

لقد اصبح المسيح هدفا لعداء فرق قوية من اليهود الذين لا يسعهم ان يغفروا له كونه جعل نفسه الله. فخانه وسلمه واحد من رسله الاثني عشر، وهو يهـوذا، مقـابـل ثلاثين من الفضـة. فألقي القبض عليه وأهين وأشبع ضربات وبُصق عليه وكُلّل بالشوك. واخيرا رضخ بيلاطس البنطي، هذا الوالي الجبان الـذي اقـامتـه السلطات الرومانية، مع كونه لم يرَ مأخذا على يسوع، لضغط رؤسـاء الشعب اليهـودي، فحكم عليـه بالمـوت لكـونـه اعلن عن نفسـه «انه المسيح ابن المبارك» (مرقس ١٤/٦١ـ٦٢). ولكن كل شيء في كلامه وفي افعـالـه يُظهـر فيـه حريـةً متسـامية: «ما من احد ينتزع (حياتي) مني. ولكني ابذلها برضاي» (يوحنا ١٠/١٨).

٩ ـ القيامة

كل شيء قد انتهى، وكل شيء يبدأ. ان الرجاء يبارح حتى اكثر الناس امانة له، ما خلا والدته المتألمة، مريم، الواقفة عند اقدام الصليب. ماذا عساها تفهم؟ ان هذا هو سر ايمانها غير المتزعزع الذي يرجو، مثل ابراهيم، ضد كل رجاء. ففي اليوم الثالث سينبعث يسوع من بين الاموات، تاركا القبر خاليا، حيث اعتقدوا انهم سيحبسون جثته وراء الحجر الثقيل الذي ما كان بوسع النساء ان يدحرجنه. الا ان ملاك القيامة، الحاضر مثل اليوم الاول من البشارة التي زفّها الى مريم، يؤكد الخبر الذي لا يني، منذ الفي سنة، يخصّ البشر كلهم: «لماذا تبحثن عن الحي بين الاموات؟» (لوقا ٢٤/٥)، «ها هو يتقدمكم الى الجليل» (متى ٢٨/٧).

١٠ ـ الصعود

طوال اربعين يوما، اظهر يسوع ذاته لتلاميذه، الذين بدوا اولا غير مصدّقين ثم خائفين، قبل ان يُرفع الى يمين الآب، وهي علامة وختم أعطي لصدق عمله. انه الصعود. وقبل انطلاقه، ترك لتلاميذه المرتبكين تعليمات سوف تُحدثُ انقلاباً في العالم: «اذهبوا وتلمذوا جميع الامم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلّموهم ان يحفظوا كل ما اوصيتكم به، وها أنذا معكم طوال الايام الى انقضاء الدهر» (متى ٢٨/١٩ـ٢٠).

١١ ـ العنصرة

في يوم العنصرة، وهو اليوم الخمسون بعد القيامة، امتلأ الرسل كلهم من الروح القدس الذي حلّ عليهم مثل ألسنةٍ من نار. وعلى الفور تغيروا بقوته، واذا بهم يشرعون، ابتداء من بطرس، باعلان ايمانهم بالمسيح القائم من بين الاموات، وان يكرزوا بغفران الخطايا. انه بدء سفر اعمال الرسل وزمان الكنيسة، خلال الاجيال وعبر القارات، حتى عودة المسيح في نهاية

الازمنة، عند انتهاء التاريخ. «كان ميتا فقام» (أع ٢٥/ ١٩). «انه الرب» (يوحنا ٢٠/ ٢٨ و٢١/ ٧). انها الصرخة التي تتفجر من ايمان التلاميذ، وتعبّر بايجاز عن ايمان الكنيسة، جوابا على هذا السؤال: من هو هذا الانسان؟

«المسيح رب»: هذه هي الصيغة الأولى والاساسية لقانون الايمان. يسوع، ابن مريم، هو المخلّص. انه الحيّ الدائم من الآن في جسده «الروحاني»، اي غير قابل الفساد والذي ينعشه الروح القدس بكامله. يسوع هو الرب: انه تأكيد يُعجز عقول الذين عرفوا «ابن النجار» في الناصرة، ورأوه في حالة مزرية في آلامه وموته. انه المشير العجيب، وامير السلام، والالف والياء، اي الاول والاخير، النور الازلي، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور. انه اله مولود من اله، ونور مولود من نور، اله حق مولود من اله حق. «انه نور الشعوب»، كما دعاه المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني. انه حاضر بكلامه في الاناجيل، وبروحه في قلب كل مسيحي، وفي الكنيسة التي هو رأسها، وهو يقدّم ذاته للآب ضحية تؤوّن الذكرى الاوخارستية الخلاصَ الذي تحقق بها «لأجل حياة العالم» (يوحنا ٦/ ٥١).

١٢ ـ كلمة الآب الأزلي

مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، الذي على يده صار كل شيء، ان هذا الابن المتجسد هو الكلمة، المولود ازليا، مثلما يلد الروح الفكر، نوعا ما. هذا هو سر الابن الذي كان من البدء مع الله: «به كان كل شيء، وبغيره ما كان شيء»، «هو الحياة لكل موجود، والحياة نور الناس». «هو الذي يولي الناس ان يصيروا ابناء الله، هم الذين آمنوا باسمه» (يوحنا ١). انه كلمة الآب الازلي، بل الكلمة الوحيدة التي هي التعبير التام لذاك الذي يقولها، بحيث انها شخص آخر هو صورة الآب الكاملة. ولم يكن موته الا اجتيازا نحو ملء الحياة. وقد مضى اليه بقوة الروح القهارة: مثل الاول بيننا. وقيامته تخبر بقيامتنا، اذ نحن مدعوون بنوع يفوق الادراك الى مقاسمة حياة الله، مدى الابدية. وسيأتي في المجد ليدين الاحياء والاموات، ولن يكون لمُلكه انقضاء.

١٣ - الله كل في الكل

ان نهاية التاريخ الحقة ستكون في جمع الكل وكل شيء في المسيح: «فيكــون الله كلا في الكـل» (١ قور ١٥ / ٢٨). اذ ذاك فقـط سيمتلىء بنـوع متسـامٍ ذلـك الرجاء المتأصِّل في قلب البشر: «ويكونون له شعبا. الله معهم ويكون لهم الها، يكفكف كل دمعة تسيل من عيونهم. لم يبقَ للموت وجود، ولا للبكاء، ولا للصراخ، ولا للألم، لان العالم القديم قد زال»: هذا ما جاء في الـرؤيـة النبـويـة عن الملكـوت كمـا وصفـه القـديس يوحنا في سفر الرؤيا (٢١ / ٣-٤). وكـان هذا الـرسـول قد اوضح في انجيله وقال: «الذين عملوا الصـالحـات سيقـومـون الى الحياة، اما الذين عملوا السيئات، فيقومون الى الهلاك» (يوحنا ٥ / ٢٩).

١٤ - انه حيّ

هذه هي النتيجـة المـركزية التي يؤكدها ايماننا المنتصر: كان ميتاً وهو الآن حيّ. وجميع الذين يؤمنون به والذين يكونون قد عاشوا انجيله سيحيون الى الابـد. اجـل، ان يسـوع المصلوب حي، وقـد رآه يوحنـا بهيئة الحمل، مصـدر الحيـاة الابـدية. ويستمد هذا التأكيد قوته من القوة ذاتها التي بها أكّد الشاهد ذاته موته. فكل شيء متماسك. والامر الخارق في الايمان هو ثمة، في هذه الشهـادة التي لا يطـالها شك ولا ردّ. والقصة الغبية التي أشيعت عن ان تلاميذه قد سرقوا جثته، هي ذاتها تشهد للقيامة حسب طريقتها. واكثر منها تشهـد قوة ايمان التلاميذ. وهناك الآلام، وحمل الصليب، والصلب، وطعنة الحـريـة، وتشتّت التلاميذ بعد الصرخة الاليمة التي احدثت انقلابا في نفس قائد المائة، واحناء رأس المصلوب حينما «لفظ الروح» (يوحنا ١٩ / ٣٠).

١٥ - ربّي والهي

هنـاك ايضـا الهلع الذي أحدثه القبر الخالي، وشعاع النور الفصحي، والفجر الزاهي بألوانه الجديدة: هذه الامور التي ألهمت ابداعات فنية رائعة.

فليس ثمة ما هو اكثر اشراقاً من الاشراقة العذبة صبيحة القيامة، او الألفة التي خلّدها «رامبرانت» بريشته عن المساء في عماوس، حينما عرف التلميذان الرب يسوع عند كسر الخبز الاوخارستي. لقد عرفاه هو ذاته، ومع ذلك فهو آخر لا يسمح بلمسه الالتوما غير المؤمن ليضع اصابعه الجسدية في الجنب المطعون، فتخترق صرخة ايمانه نكران الاجيال وتجتازها مثل برق من اليقين الوطيد: «ربي والهي» (يوحنا ٢٠/٢٨). ان اللاهوت المحتجب في الناسوت المجهد في الحياة الخفية، والمظلم في طريق الآلام القاسية وفي الصلب والدفن وفي ليلة السبت المقدس، يتفجّر من الآن ويتعدّى الحدود التي تحصر جسدنا المادي في نطاقها. فيدخل يسوع لكي يزور اصدقاءه «والابواب مغلقة» (يوحنا ٢٠/١٩)، ويظهر حيثما شاء، ومتما شاء، وكيفما شاء: انه استعداد الجسد التام تجاه النفس التي تستخدمه قبل الصعود الى السماء والجلوس عن يمين الآب.

١٦ ـ السماء

يبدو أن معاصرينا يجدون بعض الحرج في الحديث عن السماء، وكأن الارض التي غزت الانسان وزخرت بالتقنيات تحبس انظارنا وتوجهها الى الامور الواطئة. ومع ذلك، فان الفلاسفة يقولون ان على المرء ان يتوخّى الغاية في كل شيء، فالتساؤلات لا تستنفذ أية معضلة طالما لم يُعط جواب مرضي للاسئلة الناشئة والمتجددة دوما. ولنُعد مرة اخرى هذه الاسئلة البسيطة والمأسوية التي تخص كل انسان وحياته وموته: ما الانسان؟ من اين يأتي؟ الى اين يذهب؟ وهل تنتهي حياته حقا عندما يلفظ انفاسه الاخيرة؟

ان ديانة مسيحية لا تتجرأ من بعد على التأكيد على السماء تكون اكثر كآبةً من جميع الآراء التي تتقاسم البشرية وتُحدث الفرقة بين الناس. لان هذا العيّ يفرغ الايمان المسيحي من محتواه. وهذا ما يجعلنا اشقى الناس اجمعين، كما يقول القديس بولس (١ قور ١٥/١٩)، مثل الذين لا رجاء لهم، خلافا لجميع تأكيدات الانجيل. أويكون ملكوت التطويبات قد

تلاشى؟ وهل نجد حرجا في التأكيد، خلافا للمظاهر، ان المسيح حي، وانه يريد ان نكون نحن ايضا احياء معه الى الابد، وبحياته ذاتها؟ ذلك لان السماء، في نهاية الامر، ليست موضعا، بل هي «حالة» و«حياة»: انها الحياة مع المسيح.

١٧ ـ مع المسيح

إقرأوا رسائل القديس بولس واحسبوا عدد المرات التي فيها يقول لنا «مع المسيح». انها لازمة ترِد على الدوام في تعليمه، لانها قلب ايمانه. فالمسيحي انسان يحيا مع المسيح من الآن على هذه الارض، قبل ان يقاسم حياته بملئها ما وراء الموت. وهذه هي السماء: «ستكون اليوم معي في الفردوس» (لوقا ٢٣/٤٣). فكيف يسعنا ان نحجب نور ايماننا هذا، وان نطمس هذا الوعد الذي ينعشه، وان نخفي هذا التوجيه الاساسي الذي يسحبه ويجتذبه مثل مغناطيس؟ ان الامر متعلق بالايمان ذاته الذي بدونه يضمحل كل شيء ويزول. ان المسيحي سيكون يوماً مع المسيح. وقد صعد المسيح الى السماء حيث هو عن يمين الآب. وهذا التأكيد صافٍ جلي تحت بساطة الصور والتعابير الانسانية. وهذا امر يفهمه البسطاء، اولئك الصغار وفقراء القلب، اولئك المساكين، مثل العذراء مريم، الذين يعرفون ان بعد الموت ستكون الحياة مع المسيح. ويعبّر القديس اوغسطينس عن ذلك بالفاظ مؤثرة اذ يقول: «إنعم الى الابد بالله كشخص، وبجميع الآخرين في الله»: هذه هي السعادة الابدية في حياة لن تنتهي. «وهناك سنرى، وسنحب، وسنمدح دون نهاية» (مدينة الله). وفي عصرنا، جاء يوحنا بولس الاول، البابا الذي لم تدم رئاسته سوى ثلاثة وثلاثين يوما (٢٦ آب ـ ٢٨ ايلول ١٩٧٨)، فأعلن ذلك في عشية موته: «ان هللويا الحقيقية سننشدها في الفردوس. وستكون هللويا المحبة المشبعة. اما اليوم، فانها هللويا المحبة الجائعة، اي هللويا الرجاء» (في خطاب القاه في مقابلة ٢٠ ايلول سنة ١٩٧٨).

١٨ ـ نُدانُ عن المحبة

ان الله حاضر لنا اليوم في ظلمة الحياة وفي وسط المصائب. ولكننا نعرف انه سيأتي يوم يكون لنا فيه الفرح ونور العيان والظهور التام. ويقول القديس ايريناوس: «ان مجد الله هو الانسان الحي، وحياة الانسان هي رؤية الله».

وقبل ذلك، سيكون الرب قد اصبح ديانا لنا، ديان الاحياء والاموات، كما يقول قانون الايمان. وهذا ليس من شأنه ان يفزعنا، لانه، حسب تعبير القديس يوحنا الصليبي الذي تبنّته تريزة الطفل يسوع: «في مساء حياتنا، سنُدان عن المحبة.» ألم يقلْ يسوع نفسه في الانجيل: «حيث يكون كنزكم، يكون قلبكم» (لوقا ١٢/٣٤)؟

١٩ ـ جهنم

ان التأكيد على حقيقة السماء هو ايضا القبول بامكانية جهنم. وحقيقة الايمان هذه تصدم معاصرينا، في حين ان دانتي تمكن من كتابة الكلمة المفارقة، كلمة المحبة، على باب جحيمه، حيث «سيكون البكاء وصريف الاسنان» كما يقول يسوع في الانجيل (راجع لوقا ١٣/٢٨). ان كثيرين يستاؤون من هذا التأكيد، فيسدلون عليه ستار الصمت. ولكن بأي حق ننقد الانجيل؟ فكل منا بوسعه ان يدرك ان هذا الامر يتعلق بجدّية الحياة ورهانها الابدي. فعلينا ان نقبل، في ساعة الموت، بامكانية انفصال نهائي عن الله، كخاتمة مأسوية لحياة اصبحت فريسة للخطيئة بصورة نهائية.

٢٠ ـ جدّية الحرية

ليست السماء وجهنم تكملة اختيارية تُضاف من الخارج. فالأمر منوط بجدّية حياتنا وباستخدام حريتنا. فيتعلق بالانسان، باختياراته الحرة والمسؤولة، ان يقبل تصميم المحبة الذي رسمه الله في الطبيعة والتاريخ، كما في قلبه الانساني. ويقول البابا بولس السادس: «لا أنَسية حقيقية ما لم

تكن منفتحة على المطلق، في الاعتراف بدعوة تعطي الفكرة الصحيحة عن الحياة الانسانية» (رسالة في تقدم الشعوب، سنة ١٩٦٧). وبوسع الانسان ان يرفض هذا التصميم بانغلاقة على ذاته بانانية، حينما يريد ان يكون الهاً دون الله، حسب تعبير الفيلسوف المسيحي «موريس بلوندل». وبهذا يخالف الانسان مصيره اراديا. فهو الذي خُلق لكي يُحبّ، يضع ذاته خارج نطاق المحبة، ويعرّض ذاته للبقاء الى الابد عاجزاً عن الحب، بموتٍ ثانٍ. وهذه هي جهنم: هذه الامكانية المأسوية التي تشهد، بنوع سلبي، لعظمة الانسان ولاحترام الله لحرية الانسان. وهذه هي، حسب تعبير دوستوفسكي «استحالة الحب».

٢١ ـ اختيار لا مردَّ فيه

في التصريح حول «الكرامة الانسانية» الصادر في ٧ كانون الاول سنة ١٩٦٥، والذي يتطرق الى الحرية الدينية، لاحظ المجمع الفاتيكاني الثاني كيف يعرض الله محبته على الانسان. ولكن «ان كان هذا النداء يلزم الانسان ضميريا، فهو مع ذلك لا يرغمه قسرا». وكل منا يعلم ان امام كل انسان، منذ اللحظة التي فيها يتوصل وعيه الى معرفة حقيقية لحريته، اختياراً يحدّده، وتؤيده حياته كلها او تعدِّله. انه الاختيار الذي يكرّسه حُكمُ الله بصورة نهائية الى الابد. فالانسان مسؤول عن ذاته، وهو يعلم ذلك منذ النبي حزقيال في العهد القديم. فبوسعه ان يلتفت الى الله ويحيد عن الشر، حسب الدعوة التي وجهها يسوع في مطلع الانجيل: «توبوا وآمنوا بالبشارة» (مرقس ١ / ١٥) والتي تعيدها الكنيسة في رتبة اربعاء الرماد في مطلع الصوم الكبير لدى اللاتين.

٢٢ ـ الدينونة الاخيرة

وتأتي ساعة فيها يُحدَّد الاختيار الحاسم الى الابد. وهذه هي الدينونة الاخيرة المذكورة في قانون الايمان، كما وصفها يسوع بوضوح في انجيله حينما قال:

«واذا جاء ابن الانسان في مجده، تواكبه جميع الملائكة، يجلس على عرش مجده، وتُحشر لديه جميع الامم، فيفصل بعضهم عن بعض، كما يفصل الراعي النعاج عن الجداء. فيقيم النعاج عن يمينه والجداء عن شماله. ثم يقول الملك للذين عن يمينه: «تعالوا، يا من باركهم ابي، فرثوا الملكوت المعَدَّ لكم منذ انشاء العالم: لاني جعت فأطعمتوني، وعطشت فسقيتموني، وكنت غريبا فآويتموني، وعريانا فكسوتموني، ومريضاً فعدتموني، وسجينا فجئتم اليّ». فيجيبه الابرار: «يا رب، متى رأيناك جائعا فأطعمناك اوعطشان فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريبا فآويناك اوعريانا فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضا اوسجينا فجئنا اليك؟ «فيجيبهم الملك: «الحق اقول لكم: كلما صنعتم شيئا من ذلك لواحد من اخوتي هؤلاء الصغار، فلي قد صنعتموه».

«ثم يقول للذين عن الشمال: «اليكم عني، ايها الملاعين، الى النار الابدية المعدّة لابليس وملائكته: لاني جعت فما اطعمتموني، وعطشت فما سقيتموني، وكنت غريبا فما آويتموني، وعريانا فما كسوتموني، ومريضا وسجينا فما زرتموني». فيجيبه هؤلاء ايضا: «يا رب، متى رأيناك جائعا او عطشان، غريبا اوعريانا، مريضا اوسجينا، وما اسعفناك؟» فيجيبهم: «الحق اقول لكم: ايما مرة لم تصنعوا ذلك لواحد من هؤلاء الصغار فلي لم تصنعوه». فيذهب هؤلاء الى العذاب الابدي، والابرار الى الحياة الابدية». (متى ٢٥/٣١-٤٦).

ما اكثر الرسوم والنحوت التي ابرزت هذا المشهد العظيم، مشهد الدينونة الاخيرة. هذه هي عظمة وخطورة اختياراتنا الانسانية التي لها دعوة ابدية وتبلغ الله ذاته، حسبما اوحاه الينا يسوع في الانجيل: «لي لم تصنعوه.» هكذا يقول يسوع في مشهد الدينونة (متى ٢٥/٤٥).

٢٣ - الوجه المعاكس للسماء

يقول الكاردينال غارون ان هذه المجازفة هي شرف الانسان وثمن

عظمته. فاذا بحث خارجا عن الله وعن اخوته لاجل الله عن النهاية الشخصية لوجوده وعن المحتوى الارادي لخيره النهائي، فانه في اليوم الذي فيه يلتقي الله في الواقع، لن يكون له سوى الألم الفظيع الناجم عن اختيار تم ضد الامنية العميقة لطبيعته، ألم انسان «ينظر الى الشمس بعينين مفقوئتين» كما قال الاب فالنسان. ان يجد المرء نفسه عاجزا عن الحب. وهذا ما يضعه الكاتب جورج برنانوس على لسان كاهنه الريفي وهو يكشف لتائبته المصرَّة في الحقد المصيرَ الذي ينتظرها. وقد غيّر هذا الوصف قلبها المتصلّب. . . ان اهم ما في تعليم الكنيسة يرد في هذه الملاحظات: ان جهنم هي بالضبط الوجه المعاكس للسماء. فلا مجال لفهم الاولى دون الثانية ولا بطريقة اخرى غيرها.

٢٤ ـ المطهر

لا يمكن ان يتم الدخول الى هذا الملكوت دون تطهير هذا الكائن الذي كان خاطئا، ولو ان اختياره الاخير ضد جهنم قاده الى السماء. وحينما تكون هذه النهاية مضمونة، فان الأجل من شأنه ان يبدو تافهاً. ولكنه حقيقي، كما تقدّمه لنا الكنيسة حينما تكلّمنا عن المطهر، وهي صيغة سرية لتطهير الاموات الذين تساعدهم صلاة الكنيسة. وهذا هو معنى التضامن المسيحي لجسد المسيح، من خلال القداديس المقامة بتقوى من اجل الذين غادرونا. ان هذا ولا شك عمل المسيح الذي يكتمل حتى بلوغه النهائي، وسر الفداء الذي يمتد وينتشر بملئه.

٢٥ ـ سر الخطيئة

من ذا الذي يصف سرَّ الخطيئة التي يغسلها دم المسيح وآلام جروحه التي قدمها ضحية دموية على الصليب، والتي نحتفل بها في الاوخارستيا ذكرى المحبة: «هذا هو جسدي الذي يُبذل من اجلكم. . . هذه هي كأس دمي، دم العهد الجديد الابدي الذي يُراق عنكم وعن الكثيرين لمغفرة

الخطـايـا . اصنعـوا هذا لذكري» (١ قور ١١/٢٣-٢٥) . هذا هو البُعد الذي يفوق الوصف، بُعد شركة القديسين، من رأس الجسد السري حتى الاعضاء المتألمـة من جسـده . انهـا الحقيقـة التي كانت تغمـر قلب القـديسـة تريـزة الصغيرة بفرح عارم، والتي تفتح امام رجائنا آفاقا لا متناهية من المحبة.

٢٦ ـ ألم المحبة

يقول الكادرينال غارون بحق ان تطهيرات ما وراء الموت تبقى لنا سرا كبيـرا . وانـه لمن الـلامعقـول ان يبحث فيها المرء عن اقل مماثلة مع جهنم . ففي جهنم، تنشأ الآلام من غيـاب المحبـة . امـا هنـا، فان الالم يولـد من المحبـة ذاتهـا . انـه الم الانسان لكونه اغاظ الله الذي يحبه والذي اليه يشتاق من كل قوة نفس محرَّرة . والكنيسة ترافق هذا الألم بصلاتها، ولا سيما بتقدمة ذبيحة المسيح . ويؤكّد لنا الايمان ان دم المسيح ليس اقلَّ فاعلية حينما يتلقاه الآب لأجل ميت منه لأجل حيّ .

٢٧ ـ جمهور المختارين

ان كلمـة الله، الابن الـذي ارسله الآب هو في قلب ايمـاننـا، حي ومحيي، وقـد مات ليمنحنـا الحيـاة، وقـام مثـل باكورة الراقدين، على رأس جمهـور لا يُحصى من المختـارين الـذين يريهم سفـر الرؤيا لنا مبتهجين وهم يحيطـون بعـرش الحمل الذبيح في الزمان وفي الأبدية . لذا فان الوحي الذي كشفـه لنـا المسيح في الانجيل هو كلمة الله، كلام الانجيل، كما نقول بنوع اعتيادي : انها كلمة انسان تحمل ختم حقيقته لانها تتدفق من الابدية .

اؤمن بيسوع المسيح

١ - ان اردت ان تلخّص حياة يسوع بكلمة او عبارة تعرب فيها عن ايمانك به، فماذا تختار؟

٢ - يسوع المسيح انسان من بني جنسنا، بالاضافة الى كونه ابن الله. هل ينقص هذا التجسد من لاهوته؟ وما الدرس الذي يعطينا اياه بظهوره بيننا؟

٣ - اذا قرأنا الانجيل، هل نحتاج الى براهين تثبت ان يسوع هو حقا ابن الله؟

٤ - تساءل معاصرو يسوع عن هويته. وبعد القيامة اعلن الرسل ان يسوع الناصري هو ابن الله. فما الذي حداهم الى هذا الاعلان؟

٥ - شهد يسوع عن نفسه: «من رآني فقد رأى الاب» (يوحنا ١٤/١٠). كيف تتجلى حقيقة يسوع من خلال هذا الكلام؟

٦ - ذهب يسوع بملء حريته الى الموت. كيف تفسّر هذا الموقف على ضوء معطيات الانجيل؟

٧ - جاء موت يسوع نتيجة دسائس كثيرة وخيانات البشر. ولكن يسوع جعل موته تقدمة لله. فهل من تناقض في هذا الامر؟

٨ - كانت حياة يسوع الارضية سلسلة من الصعوبات تتخللها الآلام والفشل وعدم التفهم ثم الموت على الصليب. انها كانت حياة فاشلة في نظر البشر. فكيف كانت في نظرة الله؟

ان سراً يكمن في يسوع الناصري، وكان يشغل منذ البدء فكرَ معاصريه: «من ترى هذا، حتى ان الريح والبحر تطيعانه؟ (مرقس ٤/٤١، متى ٨/٢٧، لوقا ٨/٢٥). واحتاروا في تحديد من هو (متى ١٦/١٤). ولم تتضح معالم سر المسيح الا عبر قيامته، وبفعل الروح القدس الحال في قلوب مؤمنيه: «متى رفعتم ابن الانسان عرفتم اني انا هو» (يوحنا ٨/٢٨).

من كتاب «الله حياتنا»

للأب الدكتور اغناطيوس ديك - ص١٥٢

٣ ـ اؤمن بالروح القدس

ان الآب اعطانا الابن، الاله الذي صار انسانا بيسوع المسيح . والابن بدوره يرسل الينا الروح القدس : هذا هو الايمان الذي عبّر عنه قانون الايمان منذ اجيال عديدة :

«اؤمن بالروح القدس
الرب المحيي
المنبثق من الآب والابن
ومع الآب والابن
يُسجد له ويُمجَّد
الناطق بالانبياء . »

١ ـ الله محبة

ان وحي الانجيل هو السماء المنفتحة، وألفة حياة الله الموحاة الى البشر في اعمق سر محبته : الله الأحد في اعمق حياته، اي في فكره ومحبته، هو في الداخل ثلاثة . والثلاثة لا يكوّنون سوى واحد . وروح المحبة هو اخفى ختم لوحدتهم . ان الروح القدس، الفارقليط، هو مثل محبة توحد الآب والابن، محبة متبادلة يثيرها كلاهما، وهما متحدان ازليا ببهبة الحياة المتبادلة التي مصدرها الآب . وهكذا فان الله، سر المحبة اللامتناهية، ينكشف بنوع يفوق كل ادراك في حياته ذاتها وفي اعمق ماهيته . ولم يكن بوسع القديس يوحنا، في نهاية حياته، سوى ان يتلعثم بهذا السر الذي كان قد تغلغل في اعمق كيانه، من فرط تأمله فيه : «ان الله محبة» (١ يوحنا ٤ / ١٦) .

٢ ـ الخالق والفادي والمقدِّس

ان محبة الله التي كشفها الابن في نور الروح القدس تظهر لنا بالخلق الذي يُنسب عادة الى الآب، وبالفداء الذي هو عمل الابن الخاص، وبتقديس نفوسنا الذي هو عمل الروح القدس الخاص . من الاكيد، ان

اعمـال الله الخـارجية، ان صح التعبير، هي مشتركة بين الاشخاص الثلاثة، وان كانت منسوبة «بنوع خاص» الى واحد منهم.

٣ ـ سر الآب

ان سر الـروح القـدس يوحى الينـا اذ يعـرّفنـا سر الآب (غلاطية ٤/٦) والابن (١ قور ١٢/٣). وكان يسوع قد وعدنا بذلك اذ قال: «سأسأل الاب، وهـو سيعطيكم روح الحق ليكـون معكم الى الابـد. فهـو يعلّمكم جميـع الاشيـاء، ويـذكّـركم جميـع ما قلته لكم. انه يرشدكم الى الحق كله» (يوحنا ١٤/٢٦، ١٦/١٣). فعمـل هذا الـروح هو الـذي ينير الكنيسـة وينعشها، وينـفـذ الى اعمق ما في النفس، ويجعـل المسيحيين قادرين على تحقيق دعـوتهم الخـارقـة، جواباً على نداء يسوع الذي قال: «كونوا كاملين، كما ان اباكم السماوي هو كامل» (متى ٥/٤٨).

٤ ـ سر الابن

على نور روح يسـوع، ادرك التـلاميذ رسالة المسيح بملئها، واستمدوا القوة ايضا ليعلنوها حتى الاستشهاد. وبوسعنا ان نقول ان القيامة كانت خاتمة سر الخـلاص، مع العـودة الى الآب بالصعود. وبعد خمسين يوما، اصبحت العنصرة منطلقاً لتحقيق هذا السر عند البشر.

٥ ـ سر الروح

لقـد خلّد لنـا سفـر اعمـال الرسل قصة هذا الحدث الفريد الذي صار مصدر إلهام لفنانين عديدين وانعش الوفا من النفوس المشاهدة:

«ولمـا أتى اليـوم الخمسـون، كانـوا مجتمعين كلهم في مكان واحد، فانطلق من السماء بغتة دويّ كريحٍ عاصفة، فملأ جوانب البيت الذي كانوا فيه، وظهرت لهم ألسنة كأنها من نار قد انقسمت فوقف على كل منهم لسان، فامتلأوا جميعا من الروح القدس، واخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم، على

ما وهب لهم الـروح القـدس ان يتكلمـوا . وكان يقيم في اورشليم يهود اتقياء اتـوا من كل امـة تحت السماء . فلما انطلق ذلك الصوت ، تجمهر الناس وقد اخـذتهم الحيـرة ، لان كلاً منهم كان يسمعهم يتكلمـون بلغـة بلده ، فدهشوا وتعجبوا وقالوا : «اليس هؤلاء المتكلمون جليلين بأجمعهم؟ فكيف يسمعهم كل منا بلغة بلده . . . ؟» (اعمال ٢ / ١ـ٨) .

فتــولى بطــرس أمــر شرح هذه المعجـزة للنـاس ، في نهـايـة تاريـخ الخلاص ، وقد اجراها الله للخطأة الذين صلبوا ابنه : «ان يسوع هذا قد اقامه الله ، ونحن بأجمعنـا شهـود على ذلك . فلما رفعه الله بيمينه الى السماء ، نال من الآب الـروحَ القـدس المـوعـود به فافاضه ، وهذا ما ترون وتسمعون . . . فليعلم يقينا آل اسرائيل اجمع ان الله قد جعل يسوع هذا الذي صلبتموه سيدا ومسيحا . . . توبوا ، وليعتمدْ كل منكم باسم يسوع المسيح ، لتُغفر خطاياكم ، ويُنعم عليكم بالروح القدس . فان الوعد لكم ، ثم لاولادكم وجميع الأباعد ، على قدر ما يدعو منهم الله ربنا» (اعمال ٢ /٣٢ . . . ٣٩) .

٦ ـ سفر اعمال الرسل

ينبغي أن نقـرأ من جديـد هذه الصفحـة الـرائعة التي جاءت في مطلع سفـر اعمـال الـرسـل ، وهي منطلق حقيقي لانتشـار الكنيسـة الارسالي ، من الديانة اليهودية الى جميع الامم الوثنية . هذا هو نور روح يسوع وقوته اللذان يوليـان بطـرس والـرسل في الوقت ذاته ان يفهموا رسالة يسوع الخلاصية على ضوء القيامة ، وان تكون لهم الشجاعة لاعلانها على العالم كله . انها صفحة تنضـح ايمـانـا ، على مثال ما ستكون الكنيسة ، ضد العواصف والزوابع ، في زورق بطـرس ، من الـزمـان الى الابدية . فما أكثر الايادي التي تستنزف قواها في تحريك المجاذيف للتقدم ضد التيار ، ناسيةً ان تفتح الاشرعة حيث تندفع الـريـاح . فهبـوب روح يسوع ، روح الحكمة والقوة ، روح المشورة والفهم ، روح العلم والمخافة والتقوى ، هو الذي سيقول بأية اشرعة مبسوطة امام ريحه القديرة ، تنطلق الكنيسة نحو شواطىء المستقبل الفسيحة .

٧ ـ الكنيسة في مهبّ الروح

ان الكـون الفسيـح ولـولب الـزمـان، منذ الخلق حتى الحياة الابدية، مليئـان منـه، منـذ الروح الخالق الذي كان يحوم فوق المياه في بدء الخلق، حتى الروح الموحد في سفر الرؤيا، الذي يصرخ، بكل ما في محبة الكنائس لربها من القوة: «مارانـاتا! تعال ايها الرب يسوع» (رؤيا ٢٢ / ٢٠). هكذا تولد الكنيسـة، في مهب الـروح، حيث المحبـة هي هبـة خلاقـة ومحيية. الا ان هنـاك صفحـة من التـاريـخ المقدس الذي هو تاريخنا، تسترعي خاصة انتباه قانون ايماننا: نطق بالانبياء.

٨ ـ الانبياء

ان النبي هورجـل الله، ويـرسله الله، وهـو ينطق ويعمـل باسم الله في تاريـخ البشـر، هذا الميـدان الـذي فيه تتجابه قوى الخير والشر، انصار النور والظلمـة. فالانبيـاء يؤوِّنـون الله الحي اذ يجسّـدون رسـالته في واقع اللحظة الحـاضـرة حيث تدور مأساة الخلاص. بالمعنى الحصري، اننا نعرف اربعة انبياء كبار، وقد سُمّوا هكذا بسبب سعة عملهم، وهم: اشعيا وارميا وحزقيال ودانيـال. وتـرافقهم زمـرة من اثني عشـر نبيـا من الانبياء الصغار وهم: هوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجاي وزكريا وملاخي. ويدور في فلكهم الانبياء الذين لم يتركوا لنا كتابات، من امثال ايليا واليشـاع وصمـوئيل وناثان. اما داود، الملك النبي، فانه يهيمن عليهم بقامته الفـارعـة كرجـل الله الـذي يتـواصـل عمله الملوكي من خلال مزاميره الكثيرة الملهمة: فالكتاب المقدس ينسب اليه مائة وخمسين مزمورا، ما تزال اجيال المؤمنين تصلّيها يوما فيوما مع المسيح، كما تلقاها المسيح ذاته من شعبه.

٩ ـ كلام الله

«نطق بالانبيـاء». ان النبي مؤمن قد استحـوذ عليـه روح الله الـذي له المبـادرة الكـاملة في دعـوتـه، وذلـك بنداء الى القيام برسالة: ان يقول كلام

الله . وقد تثير هذه الدعوة خوفا ورعدة ، اغواء او اشمئزازا في الوقت ذاته . ويكفي ان نقرأ القصص الغنائية التي خلّفها لنا عاموس واشعيا وارميا وحزقيال الذي يشعر بان يد الله شديدة عليه (مز ٣/ ١٤) . اما ارميا فيتكلم عن خدعة (اغواء) (ارميا ٢٠/ ٧) . ويعي اشعيا وعيا عميقا بخطيئته (اشعيا ٦/ ٥-) . الا ان بوسع الجميع ان يصرخوا مع عاموس : «تكلَّم الربُ ، فمن لا يتنبأ؟» (عاموس ٣/ ٨) .

١٠ ـ مآثر النبي

ان كلام الله لا ينحصر في كلمات . انه حياة من خلال اعمال اشارية ودفاعية وظروف رمزية ومآس ذات مغزى . لنفكر في زواج هوشع ، وفي عزوبة ارميا ، وفي ترمّل حزقيال ، وفي عربة ايليا النارية ، وفي الجمر الذي رآه اشعيا ، وفي المصير المأسوي الذي كان مصير الكثيرين منهم ، والذي سيذكره يسوع بجزن امام المدينة المقدسة قائلاً : «اورشليم ، اورشليم ، يا قاتلة الانبياء . . . » (متى ٢٣/ ٣٧) .

١١ ـ الدعوة الى الاهتداء

ان النبي ينطق بكلام الله الجاف ، دون تمويه ولا حذر دبلوماسي غير مجدٍ وباطل . انه يفضح الخطيئة حيثما شاهدها ، سواء عند الكاهن ام الملك او عند الشعب كله . انه يدعو الى الندامة وينذر بالعقاب .
«انبياء الشؤم!» انها العبارة التي ما زلنا نستعملها ، وننسى غالبا اننا مثل آبائنا ، وان اعلان العقاب يرمي بالعكس الى اتقاء الكارثة والى منعها ، اذ يدعو الى الندامة ، كما دعا يونان مدينة الخطأة الكبيرة برمتها .

١٢ ـ العهد

الا ان قلب الرسالة النبوية انما هو الاعلان عن المشيح الذي يأتي ويخلص شعبه من خطيئته ، انه الاعلان عن يوم الرب . انما تعارض الرسالة

النبوية متعلق بغموض شعب الله الذي تلقى العهد واقسم الامانة لشريعة الله، ولكنه يزني مع الآلهة الكاذبة التي هي الاصنام. لذا فان ارميا يأتي «ليقلع ويهدم ويهلك وينقض ويبني ويغرس» (ارميا ١/ ١٠). وميثاق العهد القديم ذاته مدعو لكي يخلي الموضع لميثاق العهد الجديد، كما يشير الى ذلك اسمه ذاته.

١٣ ـ تحقيق النبوءات

ان احدى المعطيات المشتركة للاناجيل الاربعة، سواء وردت عن طريق الاشارة حينا، او كانت واضحة حينا آخر، هي ان تظهر في حياة يسوع وموته وقيامته تحقيق الانبياء. ففي حياة يسوع احداث خاصة تُربط بما اعلنه الانبياء. الا ان العهد القديم كله بنوع خاص يصبح نبوءة للعهد الجديد، اي «كتابا نبويا»، حسب تعبير القديس بطرس (طالع ٢ بطرس ١/ ١٩). فان النبوءات التي وردت في اشعيا عن عبدالله المتألم تشكل لُحمة الآلام والقيامة. ويسوع ذاته، في هذه الصفحة المدهشة والمنيرة التي هي احدى اخلص الجواهر في الكتاب المقدس، يشرح ذلك لتلميذي عماوس اللذين انتابتهما خيبة الآمال، فينير وينعش فيهما الايمان بقوله: «يا قليلي الادراك وبطيئي القلب عن الايمان بكل ما نطق به الانبياء. أما كان يجب على المسيح ان يعاني هذه الآلام فيدخل في مجده؟ ثم أخذ يفسّر لهما ما يعنيه مما ورد في جميع الكتب من موسى الى سائر الانبياء... فانفتحت اعينهما وعرفاه» (لوقا ٢٤/ ٢٥ ـ ٢٧ و٣١). انه المشهد الاوخارستي الذي خلّدته عبقرية الفنان رامبرانت.

١٤ ـ تاريخ الخلاص

هذا هو تاريخ الخلاص الذي ورد بايجاز رائع في مطلع الرسالة الى العبرانيين، حيث جاء:

«ان الله، بعدما كلّم آباءَنا قديماً مراتٍ كثيرة بلسان الأنبياء كلاماً

مختلف الوسائل، كلّمنا في هذه الايام، وهي آخر الايام، بلسان الابن الذي جعله وارثا لكل شيء وبه أنشأ العالمين. هو شعاع مجده وصورة جوهره، يحفظ كل شيء بقوة كلامه. ولما طهّر العالم من الخطايا، جلس عن يمين ذي الجلال في العلى، فكان اعظم من الملائكة بمقدار ما للاسم الذي ورثه من فضلٍ على اسمائهم». (عبر ١/١-٤).

اننا هنا في صميم الوحي الالهي، الذي اعطى قانون ايمان الكنيسة ترجمةً امينة له تأتينا في شركة الايمان، من تقليد الايمان، ونعيدها في الروح القدس، في قلب احتفالنا الاوخارستي الذي هو سر الايمان.

اؤمن بالروح القدس

١ ـ حلّ الروح القدس على الرسل يوم العنصرة. فما الفوائد التي يجتنيها الآن المسيحيون من هذا الحلول؟

٢ ـ لعب الروح القدس دوراً هاماً في حياة يسوع من البشارة حتى الصلب. اذكر أهمّ المواقف التي تُظهر عمل الروح القدس في حياة يسوع.

٣ ـ يقول القديس بولس: «ان الروح ايضا يأتي لنجدة ضعفنا، لأنّا لا نحسن الصلاة كما يجب، ولكن الروح يشفع لنا بأنّات لا توصف» (روم ٢٦/٨). كيف يؤدي الروح القدس هذا الدور في حياة الألفة مع الله؟

٤ ـ على المسيحي ان يولد «من الماء والروح القدس ليدخل ملكوت الله».

ما معنى هذه الاقوال في حياة المسيحي الذي اقتبل العماد المقدس؟

صلاة لعيد العنصرة

انه لحق وعدل ان نُعلن في هذا اليوم قدرتك ومجدك.

في حبك اللامتناهي اعطيتنا ابنك، وهو ذهب بنا في موته وقيامته فأتانا بخلاصك.

واردت اليوم باسمه ان تكمل عمل الحب هذا وتجدّد وجه العالم بارسال روحك الينا.

بهذا الروح نعرف ان يسوع هو ابنك.

بهذا الروح نؤمن بما كشفه لنا من حبك.

بهذا الروح نسير الى معرفة اسمك.

روحك هو الذي يفتح الشفاه ويطلق الألسنة لكي تعلن امام العالم انك ابونا.

روحك هو الذي يفتح العيون لكي ترى في الخليقة عظمة مجدك.

روحك ايضا هو الذي يفتح العيون لكي ترى في الخليقة عظمة مجدك.

روحك ايضا هو الذي يجمعنا في شعب واحد.

ويجعلنا نرنّم مع الكون كله بانك اله وبأنك قدّوس.

من كتاب «صلوات جديدة»

الجزء الثاني، ص٣٥ ـ ٣٦

٤ ـ اؤمن بالكنيسة

«اؤمن بكنيسة واحدة جامعة رسولية»

اؤمن بالكنيسة، واؤمن في الكنيسة، واؤمن بواسطة الكنيسة، واؤمن مع الكنيسة. وكيف يسعني ان اعرف المسيح لولم تنقله الكنيسة اليّ؟ وكيف يسعني ان احيا ايماني، لولم تنقله الكنيسة اليّ وتعلّمه اياي وتحييه وتؤيده بسلطة كلامها ونعمة اسرارها؟

١ ـ سر الكنيسة

لقد سلّط المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني الاضواء على سر الكنيسة هذا لمعاصرينا اذ قال: «ان يسوع المسيح، الراعي الازلي، قد بنى الكنيسة المقدسة بارساله رسله كما ارسله الاب (يوحنا ٢٠ / ٢١)... واقام القديس بطرس على رأس بقية الرسل واضعا بشخصه مبدأ وأساساً دائمين ومنظورين للوحدة في الايمان والشركة... وهو نائب المسيح والرأس المنظور للكنيسة كلها.» (دستور عقائدي في الكنيسة، عدد ١٨). وكان بوسويه الخطيب الشهير يقول: ان الكنيسة هي «يسوع المسيح، ولكن يسوع المسيح المنتشر والمنقول».

٢ ـ الشركة

ان الكنيسة شركة: شركة الناس مع الله، وشركة فيما بينهم في آن واحد، وذلك بايمانهم المشترك بالمسيح وبنعمة الروح المحتفل بها في رتبة ليتورجية اكراما للآب، مصدر كل خير وكل نعمة. فالكنيسة، مع كونها تتكون من اناس يجمعهم الايمان، ليست فرقة بشرية. انها ليست جمعية يجمعها مثل اعلى مشترك، ايديولوجيا كان ام سياسياً اوثقافياً، اومهمة مشتركة يجب القيام بها. انها جماعة الذين يؤمنون بالمسيح. ويقول القديس بولس انهم يكونون جسده الحي الذي هو فيه الرأس، والروح فيه النفس، والمؤمنون هم فيه الاعضاء (روم ١٢ / ٣-٦، ١ قور ١٢ / ٣-٦).

٣ ـ تعليم المجمع

ان المجمع الفاتيكاني الثاني استعاد، مثل تراثٍ نفيس، الصور الكتابية المتنوعة التي تتيح لنا بتكاملها ان نحسن ادراك طبيعتها، وان نسبر غناها بنوع افضل (دستور عقائدي في الكنيسة، عدد ٦ و٧). انها الحظيرة والمسيح هو الباب الوحيد للدخول اليها. انها القطيع والله راعيه. انها ايضا حقل الزراعة، حقل الله، وكرمه المختار، وبنيان الله، وبيته الذي فيه يحيا ذووه. انها الهيكل المقدس والمؤمنون هم فيه الحجارة الحية. انها اورشليم السماوية التي شطرها نسير. انها امنا. ويقول عنها كلوديل بامتنان: «امنا المقدسة الكنيسة التي على ركبتيها تعلمت كل شيء». انها شعب الله.

٤ ـ المسيح والكنيسة

ان المسيح يحب الكنيسة كجسده الخاص: «لقد ضحى بنفسه من اجلها ليقدسها ويطهّرها بماء الاستحمام وبما يُتلى من الكلام ويزفها الى نفسه كنيسة سنية لا شائبة فيها ولا تغضن ولا ما اشبه ذلك، بل مقدسة بلا عيب» (افسس ٥/٢٥-٢٧). انه يملأها ويغمرها بنعمه وبحقيقته التي هو ينبوعها المتفجّر (يوحنا ١/١٤). ويضمن لها حضوره الدائم عبر الزمان، مهما كانت المحن: «ها أنذا معكم طوال الايام الى انقضاء الدهر» (متى ٢٨/٢٠).

٥ ـ عمل الله

ان سر الكنيسة يستمد مصدره من سر الله الذي يدعو الناس الى شركة محبته في المسيح بالروح القدس. فهي لا تُبنى مثل بنيان بشري. انها عمل الله، ولا يمكن ان يتحقق ولا ان يقوم ولا ان ينمو بدون نعمته: «ما من احد يستطيع المجيء اليّ، الا اذا اجتذبه الآب الذي ارسلني... انكم بدوني لا تستطيعون ان تعملوا شيئا» (يوحنا ٦/٤٤، ١٥/٥). وهذا لا يعفي الانسان من العمل، كما فهم البعض ذلك بنوع مغاير، بل بالعكس. فالله لا ينوب عن

الانسـان، بل يوليـه النـور والقـوة للعمـل، دون ان يستطيع الانسان وحده ان يفعـل ذلـك. ان الجدالات حول النعمة والحرية كانت مثاراً لنقاشات طويلة وحامية في الكنيسة طوال الاجيال. فالقديس اوغسطينس كافح ضد العقلانية الادبيـة لدى الـراهب بيـلاج. والبروتستانتية والجانسينية وانصار مولينا وانصار بانيس وبـاسكـال ذاته ناضلوا على هذا الحقل الملغوم حيث لا مسلك أفضل من الصلاة. وصلوات الآحاد التالية للعنصرة هي امثلة رائعة في هذا الشأن. فهي لا تسأل الله ان ينوب عنا في العمل، بل ان يعطينا قوة الارادة. واذا كانت النعمـة سرا، فانهـا سر الله ذاتـه، وسـر الـدعم الـذي يقـدمه لارادتنا البشرية المسؤولة تماما، بوساطة الكنيسة. واننا في صميم الليتورجيا نتضرع الى الله قائلين: «لا تنظـر الى خطـايـانا، بل الى ايمان كنيستك»، هذا الايمان الذي نقـل بالتقليـد الحي، والايمان المتقاسم في الشركة الكنسية، الايمان الذي ينتعش في اسرار الايمان، الايمان الذي يعطينا ليس ان نعرف الله ذاته الذي يعطي لنا اخفى سر محبته حسب، بل ان نحيا ايضا من هذه المحبة. وهذا هو هدف الوحي الذي يقدم لنا محبة الله لنحيا بها.

٦ ـ الكنيسة مقدسة

ان كنيسـة يسـوع المسيـح هي مقـدسـة، لانهـا تحيـا حياة روحه ذاته العـامـل فيهـا دومـا. وكمـا قلنا سابقا، فان هذا الروح نطق بالانبياء، قبل ان يظهر بملئه بيسوع المسيح. ومنذ موت يسوع وقيامته، انما نور الروح القدس هو الـذي ينيـر التـلاميـذ، وقوته هي التي تجعل منهم رسلا. وهذا النور وهذه القوة هما اللذان يقودان الوثنيين انفسهم على طرق الخلاص ويهيئانهم ـ بغير علم منهم في الغالب ـ لتلقّي كلمة الحقيقة. الروح الذي يثير في كل جيل من الكنيسة عشّاقاً للحقيقة، منجذبين بمحبتها. فكان موسى يتمنى قائلا: «ليت جميـع أمـة الـرب انبيـاء» (عـدد ١١ / ٢٩). وكان يوئيل (٣ / ١ـ٤) يرى هذه الأمنيـة وقـد تحققت في الازمنة الاخيرة. ورآها بطرس متحققة يوم العنصرة. وتطفح اعمال الرسل بهذه الحقيقة وتهتز لها رسائل القديس بولس. فهو يرى، رغم التذمرات والتجاوزات، الا يُقلّل من قيمة هذه الموهبة التي يضعها فوق

كل شيء (١ قور ١٤/١١ـ٥، ١ تسالو ٥/٢٠)، على ان تُمارس ايضا حسب النظام ولخير الجماعة (١ قور ١٤/٢٩ـ٣٢).

٧ ـ كنيسة القديسين

ان كنيستنا مقدسة، لأنها كنيسة القديسين، كما كتب برنانوس بتعابير نارية قال: «في سبيل ان يكون قديسا، هل من اسقف لا يعطي خاتمه وتاجه وصولجانه، وهل من كاردينال لا يعطي ارجوانه، وهل من حبر لا يعطي ثوبه الناصع البياض وحجّابه وحرّاسه وكل ما يملكه من حطام الدنيا؟» (في كتابه: جان مُرتدّة وقديسة ـ ١٩٣٤).

وبصفتنا شعب الله في مسيرته نحو الملكوت، نحن في شركة عميقة مع جميع الذين سبقونا على الدرب. فانهم مثلنا، يوما فيوما، من خلال الافراح والمحن، تغلبوا على عوائق كثيرة في سبيل البقاء امناء لرسالة التطويبات، ولتجسيد الانجيل في قلب العالم.

لذا فاننا مع الكنيسة كلها نؤدي الشكر للرب، كما نفعل ذلك لدى احتفالنا بالاوخارستيا المقدسة، في مقدمة القديسين اذ نقول: «انك تجعل لنا من حياتهم قدوة، ومن اتحادنا بهم شركة، ومن شفاعتهم سندا. فاذا ما احاط بنا هذا الجمع الغفير من الشهود، جرينا مثلهم بعزم في ميدان التجربة، ونلنا معهم اكليل مجد لا يذوي بالمسيح ربنا».

ان لكل منا دعوته الخاصة به، كما ذكّرنا بذلك البابا يوحنا بولس الثاني في رسالته «فادي الانسان». ويظهر لنا مثل القديسين، في تنوّعه المدهش والغني، كم من رجال ونساء، وقد جُبلوا مثلنا بالطينة البشرية الواهية نفسها، عرفوا ان يكونوا، كل حسب نعمته، شهودا احياء للانجيل وعلامات اصيلة لملكوت الله. فيا له من مثل رائع لنا! ويا لها من اثارة قديرة! وقد ذكّرنا بذلك المجمع الفاتيكاني الثاني، في الدستور في الليتورجيا المقدسة الصادر في ٤ كانون الاول سنة ١٩٦٣: «في مريم، تنظر الكنيسة بدهشة الى ثمرة الفداء السامية وتعظمها، وتتأمل بفرح، كما يُتأمل في صورة هي غاية في

النقاء، ما تريد ان تكون وما تشتهيه . . . وفي ذكرى القديسين السنوية، تعلن الكنيسة السر الفصحي الذي تمَّ في القديسين المتألمين مع المسيح، والممجَّدين معه، وتعرض مُثلهم على المؤمنين، ذلك المثل الذي يجذب الجميع بالمسيح الى الآب، طالبة باستحقاقاتهم عطايا الله» (دستور في الليتورجيا المقدسة، عدد ١٠٣ و١٠٤).

٨ ـ الدعوة الشاملة الى القداسة

لقد الحّ المجمع الفاتيكاني الاخير في التذكير بالدعوة الشاملة لجميع ابناء الله الى القداسة. وردد بولس السادس صدى هذه التعاليم حينما قال: «ان الكنيسة تحتاج الى قديسين، والعالم ايضاً يحتاج اليهم» (خطاب في المقابلة العامة في ٧ تموز ١٩٦٥). وما اجمل ما نطق به القديس فرنسيس سالس حينما قال ان الامر بين الانجيل والقديسين مثلما بين الموسيقى المنوَّطة والموسيقى المنشَدة: فالكنيسة ليست فكرة نظرية، بل حقيقة حية. وهذا ما اعلنه بول كلوديل: «جميع القديسين وجميع الملائكة هم لنا: بوسعنا ان نستخدم عقل القديس توما، وذراع القديس ميخائيل، وقلب القديسة جان دارك والقديسة كاترينة السيانية . . . وبطولة المرسلين، والهام الملافنة، وعبقرية الفنانين، وصلاة الكلاريسيات والكرمليات المضطرمة: جميع هذه الامور كأنها نحن، انها نحن.»

ان قديسي البارحة واليوم هم مثل محطات اتصال وعلامات على طريقنا ينعشون فينا نداء الانجيل الى السير على خطى المسيح. في حقيقة انسانيتهم وامتياز مسيرتهم الروحية. وحينما نتأمل مثال هؤلاء رفاق الدرب، لسنا نُقاد الى مشهد خارجي، بل الى مجازفة داخلية، تلك التي يدعو المسيح اليها كلاً منا اليوم.

٩ ـ انقسامات الكنيسة

«اؤمن بكنيسة واحدة، مقدسة». ان الكنيسة مقدسة، اي انها تتكون من اناس خطأة يسيرون نحو القداسة. ولكن احدى اجسم خطاياهم هي

فصم الوحدة التي هي طابع الكنيسة الالهي، كما علّم القديس بولس ذلك بعبارات خالدة: «هناك جسد واحد وروح واحد، كما انكم دعيتم دعوة رجاؤها واحد. وهناك رب واحد، وايمان واحد، ومعمودية واحدة، واله واحد اب لجميع الخلق وفوقهم جميعا، يعمل فيهم جميعا وهو فيهم جميعا.» (افسس ٤/٤-٦).

الا ان شركة الايمان كانت دوما عرضة للتهديد، وذلك منذ نشأة الكنيسة. فقد ظهرت توترات منذ مطلع العهد الرسولي. فتجابه «عمودا الكنيسة»، اي الرسولان بطرس وبولس، بصورة مأسوية بشأن الشروط اللازمة للدخول في الكنيسة لوثنيين جدد طُعموا على جذع اليهودية الهرم. الا ان روح الوحدة انتصر بالتسوية التي توصل اليها مجمع اورشليم، وليس بالتلوّث. بعدئذ، في زمان قبريانس وايريناوس، اجتيزت الخلافات الناشئة في الشركة مع كنيسة روما ومع اسقفها، نائب بطرس في المهمة التي اودعها اليه المسيح «ليثبت اخوته في الايمان» (لوقا ٢٢/٣٢)، اي البابا. الا ان القميص «غير المخيط» مُزق بنوع خطير منذ نحو الف سنة، بانفصال الشرق المسيحي، ومنذ الاصلاح البروتستانتي وانسلاخ الجماعات التابعة للوثر وكالفن وزوينكل. هذا بالاضافة الى الانشقاقات الاليمة التي جرت في القرن الخامس وفصلت جماعات مسيحية شرقية هامة...

١٠ - الحركة نحو الوحدة: الحركة المسكونية

لقد انطلقت في زماننا حركة كبيرة نحو الوحدة المسيحية. فان مجلس الكنائس المسكوني يجمع فئات مسيحية عديدة، ويهتم باعادة الاحتكاك بروما. وقد قام البابا بولس السادس بزيارة لهذا المجلس في جنيف. وتعمل الآن فرق عديدة، ولا سيما لجان نشطة من اللاهوتيين، في سبيل اعادة بناء الوحدة، عن طريق البحث العسر عن الوحدة في الايمان. وقد توصلت هذه الاعمال والبحوث الى نتائج جادّة تبشر بالخير وبقرب الوصول الى اتفاق حاسم في هذا الشأن.

١١ - طريق طويل

منذ المجمع الفاتيكاني الثاني والدعوة التي وجهها البابا الراحل يوحنا الثالث والعشرون الى الجماعات المسيحية لكي ترسل مراقبين الى مجمع الكنيسة الكاثوليكية، لقد تحقق في الواقع عمل كبير، خصوصا عن طريق مجلس الكنائس المسكوني في جنيف، بالتعاون مع امانة سر وحدة المسيحيين في روما. وتظهر الحاجة اكثر فاكثر الى الاتفاق على اقرار ايمان مشترك يتيح للجميع، بعد قرون من الانتباذ المتبادل، ان يعترفوا بكونهم جميعا اخوة حقيقيين، وان يعيشوا في الشركة، وان يضطلعوا معاً بالرسالة بسلامة نيّة. ان الموقّعين على الاعلان المشترك يلحون على القيمة المعيارية لكلام الله، مثل اقرار الايمان الوارد في الرسالة الى اهل رومة: «اذا شهدت بلسانك ان يسوع رب، وآمنت بجنانك ان الله اقامه من بين الاموات، نلت الخلاص» (روم ١٠/٩)، ومثل سر الخلاص الذي عبّر عنه القديس يوحنا بقوله: «ان الله بلغ من حبه للعالم انه جاد بابنه الواحد، لكي لا يهلك من يؤمن به، بل ينال الحياة الابدية» (يوحنا ٣/١٦). ومثل تاريخ الخلاص ذاته المتأصل في سر الثالوث وفي تجسده الكنسي، كما جاء طابعه في السياق الليتورجي الذي تميّزت به مقدمة الرسالة الى اهل افسس (١/٢-٢٣)، وهي اعلان حقيقي للايمان.

وهناك وثيقة هامة، صيغت في ليما (بيرو) من ١٣ الى ١٥ كانون الثاني سنة ١٩٨٢، تقترح اتفاقا لاهوتيا مسكونيا بشأن العماد والاوخارستيا وتعادل الخدم الخاصة. فلو كان الجميع يستعيدون اكتشاف هذه النواة الاساسية، ما وراء قرون الانفصال، وثقل مختلف السياقات الثقافية والتاريخية، لكانت تلك خطوةً حاسمة الى الامام شطر اعادة تكوين الوحدة المفقودة، تجاوبا مع ما ابداه يسوع من الهم والقلق بشأن هذه الوحدة في العشاء الاخير حينما قال: «ليكونوا باجمعهم واحدا: وكما انت فيّ ايها الآب، وانا فيك، كذلك فليكونوا فينا واحدا، ليؤمن العالم بأنك انت الذي ارسلني. المجد الذي اوليتني اوليتهم اياه، ليكونوا واحدا كما نحن واحد: انا فيهم وانت فيّ، لتكون وحدتهم كاملة ويعرف العالم انك انت الذي ارسلني، وانك احببتهم

كما احببتني» (يوحنا ١٧ / ٢١-٢٣).

١٢ - ليكونوا بأجمعهم واحدا

الا ان ثمة موانع عديدة يجب التغلّب عليها، كما تشهد لذلك العلاقات بين الكاثوليك والانكليكان الذين يُعتبرون الأقربين. فبعد خمس عشرة سنة من الاعمال التي ابتدأت في بلدة كزّادا الايطالية في ٩ كانون الثاني سنة ١٩٦٧، فان اللجنة الدولية المكوّنة من الانكليكان والكاثوليك والتي انشأها البابا ورئيس اساقفة كنتربري بغية حل الاختلافات العقائدية التي تفصل الكنيستين منذ اربعة قرون، نشرت تقريرها النهائي في ٣٠ آذار ١٩٨٢ حول الاوخارستيا والخدمة والرسامة والسلطة في الكنيسة، ومن ضمنها دور البابا في التعليم وادارة الكنيسة. وقد كلّف البابا يوحنا بولس الثاني مجمع عقيدة الايمان بالنظر في هذا النص. فقيّم المجمع المذكور هذا الحدث المسكوني الهام، معتبراً اياه مرحلة ذات معنى عميق نحو المصالحة بين الشركة الانكليكانية والكنيسة الكاثوليكية. الا ان المجمع، في الروح عينه من النزاهة والوضوح، وهو امر لا بدّ منه لحوار أصيل، اشار الى انه ما يزال من غير الممكن القول بان اتفاقا «جوهرياً» حقيقيا قد تمّ الوصول اليه حول جميع القضايا المدروسة. وهناك قضايا اخرى يجب فحصها ايضا.

وفي ٢ نيسان ١٩٨٢، أرسلت جميع وثائق هذه الاضبارة الى المجالس الاسقفية، لكي تبدي رأيها فيها على ضوء مبادىء العقيدة الكاثوليكية: الاوخارستيا كذبيحة، والحضور الحقيقي، والقربان المقدس، والعبادة الاوخارستية، والخدمة، والرسامة كسرّ، ورسامة النساء التي ادخلت حديثا في بعض الاجزاء من الشركة الانكليكانية وهي مضادة قطعا للتقاليد المشتركة في كلتا الشركتين، وشروح نصوص العهد الجديد فيما يتعلق بخدمة بطرس، والاولية وسلطة اسقف روما، والعصمة والديمومة، وهو تعبير استخدمته اللجنة ولا يتطابق مع كلمة العصمة التي استخدمها المجمع الفاتيكاني الاول، والتحديدات العقائدية الصادرة عن المجامع المسكونية والتي يربط الانكليكان طابعها النهائي بقبولها في الكنيسة، وهذا ما لا يتفق مع العقيدة

الكاثوليكية التي حددها المجمع الفاتيكاني الاول. ومن جهة اخرى، ستترتب مقابلة الحياة العملية الكنسية لكلتا الشركتين وتعليمهما الاخلاقي الخاص. فينبغي اذن ان يزداد الحوار عمقا، لكي يجدد الوحدة الكنسية التامة بين الشركتين. وقد اوضح صاحب السيادة «ماك ادو» رئيس اساقفة دبلن الانكليكاني والرئيس المشارك للجنة الدولية، هو ايضا من جهته عناصر التلاقي والتباعد بين الكنيستين.

في هذا السياق التاريخي، جرت الزيارة الرسولية الاولى التي قام بها البابا يوحنا بولس الثاني لبريطانيا العظمى من ٢٨ ايار حتى ٢ حزيران سنة ١٩٨٢. وقد استُقبل استقبالا رسميا من قبل الملكة اليزابيت الثانية، رئيسة الشركة الانكليكانية، ومن قبل الدكتور رانسي، رئيس اساقفة كنتربري. وهناك اعاد يوحنا بولس الثاني التأكيد على الرغبة الشديدة في وحدة الكنيسة. ان الاستقبال الكنسي الذي حظي به، والاحاديث الودية التي تبودلت بين الطرفين، والمناخ المسكوني العميق الذي احاط بالزيارة والاحتفالات الليتورجية، ولا سيما في كاتدرائية كنتربري الانكليكانية، تظهر مرحلة جديدة على طريق الوحدة الوعر. ولقد تجسدت هذه المرحلة في انشاء لجنة مشتركة جديدة، لاعادة النظر في الاعمال السابقة ولمتابعة الحوار في جوّ من الحقيقة الصارمة ومن المحبة الأخوية.

١٣ ـ جامعة ورسولية

«اؤمن بكنيسة واحدة، مقدسة، جامعة ورسولية»

ان الكنيسة، شعب الله، تقوم وسط البشرية كلها، واذا كان الايمان يتعلق، كما قلنا والححنا في القول، بخضوع شخصي، فانه لا يُخترع انطلاقا من خبرة خاصّة. انه يُتلقى بنقل غير منقطع يرتقي الى المسيح ذاته والى رسله. وافضل صورة لسر الكنيسة هي صورة عبادتها الليتورجية، حيث يشترك المؤمنون، حول كهنتهم المرسومين، اشتراكاً تاماً في الذبيحة الاوخارستية، ذكرى الماضي واعلان المستقبل، موت المخلص وقيامته،

والتي تغـذي ثمـارُ نعمتها رجاءَهم في الزمان اذ تهيئهم للمشاركة معا في ملء محبته الى الابد.

ان وحدة الكنيسة المقدسة، الممتدة في المساحة، تتأصل في الزمن: انهـا شركـة مزدوجة كاثوليكية (جامعة) ورسولية، حول اساقفة في شركة ايمان مع اسقف روما، كما كان الرسل مع بطرس، الذي اقامه المسيح رئيسا عليهم ورأسـا منظـورا للكنيسـة على الارض. ولكون الكنيسة واحدة ومقدسة، فهي حتما جامعة ورسولية، مرسلة بطبيعتها ومسكونية بدعوتها. وهذه الكنيسة هي التي تلقت مهمة التعليم، في استمرارية تقليدها الحي، وشرح وحي المسيح بنـوع اصيـل. وكمـا يعلمنا المجمع الفاتيكاني الثاني، فان التقليد المقدس والكتـاب المقـدس «يكـوّنان وديعة كلام الله الوحيدة والمقدسة، الوديعة التي سُلمت الى الكنيسة» (الوحي الالهي، عدد ١٢).

١٤ ـ اقرار ايمان اساقفة فرنسا

اننا ندرك هذا الامر على ضوء الروح القدس، روح العنصرة العامل في الكنيسـة الـرسـوليـة والذي لا يني يعمل في صميم التاريخ، مثل نور لانسان اليـوم، والـذي يميّـزه الـرعاة المسؤولون بأصالة بتأثير هذا الروح. وكما يقول اسـاقفـة فرنسا في اقرار الايمان الذي صاغوه في لورد سنة ١٩٧٨، على نهج اقـرار الايمـان الـذي ابـرزه البـابا الراحل بولس السادس في ٣٠ حزيران سنة ١٩٦٨: «في الاجتمـاع الاوخـارستي، تظهـر الكنيسة ماهيتها: انها جزء من البشـريـة التي تتلقى المسيح المخلص وتؤدي الشكر، واجتماع الابناء الذين ينفتحون لهبة الروح، وتجمّع اخوة في اقرار الايمان ذاته، وشعب الله المرسل الى العـالم ليحمـل اليه ملح المسيـح ونـوره وليعيش في مدينـة البشـر، وهو متأصـل بعمق في دعـوة البشـريـة جمعـاء» (ما اعظم سر الايمان، ص٦١).
فلقـد اراد رئيسهـا الـوحيـد وراعيهـا الأوحـد ان يزوّدها بمركز لشركة منظورة، كنيسة روما، في شخص اسقفها وفي استمرارية التقليد الرسولي.

١٥ ـ رعاة الكنيسة

انما من المسيح يتلقى رعاة الكنيسة سلطة الخدمة، لكي ينقلوا نعمته الى المؤمنين ويقودوهم اليه حسب التخويل الذي تلقوه: «ما تربطونه في الارض يكون مربوطا في السماء» (متى ١٨/١٨). وعلى رأسهم اسقف روما وخلف بطرس اي البابا، هو رئيس المصاف الاسقفي المكوّن من الاساقفة المشتركين بنوع متضامن في مسؤوليته الشاملة. والاساقفة، خلفاء الرسل، بمؤازرة كهنة وشمامسة، هم رعاة مسؤولون عن شعب الله، ومكلّفون بالتعليم والادارة والتقديس، بنعمة الروح القدس. وفي اثر بطرس «راعي الخراف والنعاج» (يوحنا ٢١/١٥-١٦)، يقوم خلفه بحفظ شركة الايمان التي يضمنها مع كنيسة روما.

١٦ ـ «انت صخر»

«انت صخر، وعلى هذا الصخر سأبني كنيستي» (متى ١٦/١٨). ويقول القديس لاون الكبير في شرحه هذا النص: «انت صخر.. وهذا ما يجب فهمه: فلأني انا ذاتي الصخر الذي لا يتزعزع، حجر الزاوية الذي يجعل من الشعبين شعبا واحدا (افسس ٢/١٤)، ولأني انا ذاتي الاساس الذي بدونه لا يمكن وضع اساس آخر، فانت ايضا صخر، لانك توطدت بقوتي، ولان الامتيازات التي هي وتبقى خاصة بي، اصبحت مشتركة معك، بالعطاء الذي اوليك اياه» (خطب، في الباترولوجيا اللاتينية ٥٤، ١٥٠).

١٧ ـ شهادة القديس ايريناوس

لذا، فانه منذ البداية، تأكد اهتمام باقامة لائحات واضحة تبيّن التسلسل المتتابع بين اساقفة روما انطلاقا من القديس بطرس الرسول. واوضحها ما جاء عند القديس ايريناوس الذي يقول: «انه ليطول البحث اذا شئنا ان نعدّد خلفاء جميع الكنائس، لذلك فاننا سنتناول الكنيسة الكبيرة والقديمة جدا والمعروفة لدى الجميع والمؤسسة والمكوّنة في روما على يد الرسولين المجيدين بطرس وبولس... فمع هذه الكنيسة، بسبب السلطة

العظمى التي نالتهـا من تأسيسهـا، يجب ان تتفق حتمـا كل كنيسـة، اي المؤمنون القادمون من كل مكان، فهي التي فيها دوما، بواسطة الذين يُقبلون من كل مكان، حُفظ التقليد الآتي من الرسل» (ضد الهرطقات ٣، ٣، ٢).

١٨ ـ جامعية الكنيسة

ان الكنيسة الرسولية جامعة، لانها مؤسسة على صخرة ايمان الرسل التي لا تتزعزع ومختومة بشهادة دمهم. لذلك فهي مخصصة بدعوتها لتكشف المسيح لجميع الناس من كل الازمنة، وهي تتلقى لغاتهم وثقافاتهم، وتفتحهم لوحي المسيح. هذه هي جامعية الكنيسة الرسولية، المقدسة، والواحدة، حيث جميع المؤمنين «ايا كانت حالتهم وظروفهم، هم مدعوون من الرب، كل حسب طريقته الشخصية، الى كمال هذه القداسة التي ينعم بها الآب بملئها» (الدستور في الكنيسة، عدد ١٢). وعلى مثال الكلمة المتسجد، الذي عاش علاقته البنوية بالآب في لحمة المهام البشرية، يعمل المسيحي في بناء العالم في الامانة لتصميم محبة الخالق.

١٩ ـ الرهبان

بين المسيحيين، منذ بداية الكنيسة، اراد رجال ونساء، بممارسة المشورات الانجيلية، ان يتبعوا المسيح بحرية، وان يقتدوا به بأمانة اكثر، وذلك بالعيش، كل حسب طريقته، حياة مكرسة بحرية لله. انهم الرهبان الذين تشهد حياتهم لمطلق الله، اذ يعيشون حياة ثابتة، دعاهم الروح القدس اليها، وتعترف بها الكنيسة.

فالعفة تحرّر قلب الانسان بنوع فريد، لكي يضطرم بمحبة الله ومحبة جميع البشر. والفقر علامة التخلّي على مثال المسيح. وكذا الشأن مع الطاعة. هذه العلامات الثلاث تذكّر الجميع بان الرب يمكن ان يُحسب فوق كل شيء. وبالصلاة والرسالة، يشتغل الرهبان والراهبات في ملك الله القادم، الذي هم له رمز مبشّر، في روح التطويبات التي تشكل المثل الأعلى

لكل مسيحي مدعو لكي يحيا مثل يسوع ذاته، في الروح، علاقة محبة بأبيه وابينا، وبجميع اخوتنا.

٢٠ ـ التطويبات

«فلمـا رأى (يسـوع) الجموع، صعد الجبل وجلس، فدنا اليه تلاميذه فشرع يعلّمهم قال:

طوبى لفقراء الروح، فان لهم ملكوت السموات.
طوبى للودعاء، فانهم يرثون الارض.
طوبى للمحزونين، فانهم يُعزَّون.
طوبى للجياع والعطاش الى البر، فانهم يُشبعون.
طوبى للرحماء، فانهم يُرحمون.
طوبى لأطهار القلوب، فانهم يشاهدون الله.
طوبى للساعين الى السلام، فانهم ابناء الله يدعون.
طوبى للمضطهدين على البر، فان لهم ملكوت السماوات. . .»

(متى ٥/١ ـ ١٠)

اؤمن بكنيسة جامعة مقدسة رسولية

١ ـ الكنيسة هي شعب الله في مسيرة، وهي في خدمة العالم. فماذا يلهمك هذا التعريف؟

٢ ـ المسيحيون «حجارة حية» (١ بطرس ١/٥) في بنيان الكنيسة جسد المسيح السري. ولكل منا مكانة لا تُضاهى في الكنيسة. فهل فكرت في موقعك الخاص فيها؟ وكيف تكون عضواً حياً ونشطا في كنيسة المسيح؟

٣ ـ «الكنيسة تصنع الاوخارستيا»
و«الاوخارستيا هي التي تعمل الكنيسة» ـ ما معنى هذه التعابير؟
وما علاقة الاوخارستيا بالكنيسة؟

٤ ـ لم تصل بشرى المسيح السارة بعد الى اكثر من ثلثي سكان العالم. وحتى الذين بلغتهم هذه البشرى، لا يعملون كلهم دوما بمقتضاها. فكيف توفّق هذا الواقع المؤسف مع شمولية الكنيسة؟

ان الروح يسكن في الكنيسة وفي قلب المؤمنين، كما في هيكل. فهو يصلي ويشهد بانهم ابناء التبني. ان هذه الكنيسة التي يُدخلها في الحقيقة كلها، ويوحّدها في الشركة والخدمة، يُجهّزها ويوجهها بواسطة عطاياه المتنوعة، عطايا السلطة والمواهب، ويزينّها بثماره. وبقوة الانجيل يعيد لها شبابها، ويجدّدها دوما، ويوجهها نحو الوحدة الكاملة مع عريسها. فيقول الروح القدس والعروس للسيد المسيح: «تعال». وهكذا تظهر الكنيسة الجامعة شعبا موحدا في وحدة الآب والابن والروح القدس» (وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني ـ دستور عقائدي في الكنيسة، عدد ٤).

٥ ـ أقِر بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا

منذ مطلع الانجيل، نرى يوحنا المعمدان «يعظ بمعمودية التوبة لغفران الخطايا» (مرقس ١/٤). ويسوع ذاته «اعتمد على يد يوحنا في الاردن. وبينما هو خارج من الماء، رأى السموات تنشق، والروح ينزل عليه كأنه حمامة. واذا صوت من السماء يقول: «انت ابني الحبيب الذي عنه رضيتُ» (مرقس ١/٩ ـ ١١).

ان لفظة «العماد» تعني الغطس والغسل. في العهد القديم، يظهر الدور المطهّر للماء من خلال احداث ستظهر بعدئذ كرموز للعماد، ولا سيما الطوفان واجتياز البحر الاحمر. وتكثر الغسول الطقسية في الديانة اليهودية. وما اكثر الاستحمامات الرتبية عند الاسينيين. وعماد يوحنا هو عماد ماء يمنح في البرية للندامة والغفران. واذ يتلقى يسوع هذا العماد، فانه بذلك يصطف بتواضع بين الخطأة، هو حمل الله الحقيقي الذي يحمل على ذاته خطيئة العالم (يوحنا ١/٢٩-٣٦)، في حين ان مجيء الروح القدس يخبر بتدفقه في العنصرة. وقبل هذا الحدث، جاءت الكلمات الاخيرة التي نطق بها يسوع في الجليل والرسالة الشاملة التي اودعها الرسل: «اني أوليت كل سلطان في السماء والارض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (متى ٢٨/١٨-١٩).

١ ـ هبة الروح

منذ بدء سفر اعمال الرسل، وعلى الفور بعد هبة الروح في العنصرة، يدعو بطرس جميع مستمعيه الى الخلاص بذاك الذي «جعل يسوع هذا الذي صلبتموه سيداً ومسيحاً. فلما سمعوا هذا الكلام، احسوا ان قلوبهم تتفطر، فقالوا لبطرس والرسل: «ماذا يجب علينا ان نعمل، ايها الاخوة؟» قال لهم بطرس: «توبوا وليعتمد كل منكم باسم يسوع المسيح، لتُغفر خطاياكم، ويُنعم عليكم بالروح القدس. فان الوعد لكم، ثم لاولادكم وجميع الاباعد، على قدر ما يدعو منهم الله ربنا»... فقبلوا كلامه واعتمدوا، فانضمّ في ذلك اليوم زهاء ثلاثة آلاف نفس» (أع ٢/٣٦-٤١).

٢ ـ كنيسة العماد

هذه هي كنيسة يسوع المسيح التي تبدأ مذ ذاك تاريخها: انها كنيسة العماد، والعماد هو الباب الضروري للدخول اليها، ويتبعه وضع الايدي الذي به ينال المرء هبة الروح القدس (أع ٨/١٥، ١٩/٦). وهذه الممارسة، كما قلنا، جاءت طاعة لأمريسوع. ويشرح لنا القديس بولس معناها. فان العماد يُمنح باسم المسيح (١ قور ١/١٣)، وهويضمّ الانسان الى موت المخلص ودفنه وقيامته (روم ٦/٣، قول ٢/١٢). والغطس الذي كانت الكنيسة الاولى تمارسه يمثّل موت المسيح ودفنه، بينما يرمز الخروج من الماء الى القيامة بالاتحاد معه. ان العماد يميت الجسد بصفته اداة الخطيئة (روم ٦/٦)، ويتيح المشاركة في الحياة لله في المسيح (روم ٦/١١). وكلا الامرين غير منفصلين: الموت عن الخطيئة وهبة الحياة. ان العماد شركة مع السر الفصحي لموت المسيح وقيامته. والمعتمد يموت عن الخطيئة لكي يحيا لله في المسيح (روم ٦/١١)، ومن حياة المسيح ذاتها (غلاطية ٢/٢٠، فيلبي ١/٢١). فهو اذن تغيير جذري يتحقق برتبة سر العماد. وهذا ما يشير اليه القديس بولس بقوة اذ يقول: انه نزع الانسان القديم وموته، والاتشاح بالانسان الجديد (روم ٦/٦، قول ٣/٩، افسس ٤/٢٤) الذي هو خليقة جديدة حقيقية على صورة الله، كما كان آدم قبل الخطيئة (غلاطية ٦/١٥)

٣ ـ ماء العماد

يرى القديس بطرس، في رسالته الاولى، رمز العماد في عبور نوح من خلال مياه الطوفان. فان الاجتياز بمياه العماد محرّر حقا بفضل قيامة المسيح (١ بطرس ٣/١٨-٢١). اما القديس بولس فيرى ان موضوع ماء العماد المحرّر من الخطيئة كان قد أعلن عنه في اجتياز البحر الاحمر الذي خلص الشعب من عبودية مصر (١ قور ١٠/١). فنرى، على مثال المسيح الذي يعيد قراءة الكتب المقدسة مع التلميذين على طريق عماوس، ويبيّن لهما كيف ان العهد القديم كله يخبر بالعهد الجديد، ان ثمة [illegible] مة ايمانية متكاملة

تجـري من خلال تعليم الـرسـل المتواصل في الكنيسة . ان استمرارية تاريخ الخـلاص تظهـر ان الله ، رغم خيـانـات البشر ، يظـل امينـا لعهده ولتصميم محبته ، لانه «يريد ان يخلص جميع البشر» ، حسب تأكيد القديس بولس (١ طيم٢ / ٤) .

٤ ـ صيغة التثليث

«بـاسم الآب والابن والـروح القدس» . ان صيغة التثليث التي جاءت في تعليم الرسل (ديداكي ٧ / ١ـ٣) تتأصل في امريسوع الذي ذكرناه ، وهوكلامه الاخيـر في الانجيـل (متى ٢٨ / ١٩) . انهـا صيغـة الكنيسـة . في الكنيسة الاولى ، يظهر العماد الذي كان يُعطى باسم يسوع ، اوباسم الرب يسوع (أع ٢ / ٣٨ ، ٨ / ١٦ ، ١٠ / ٤٨ ، ١٩ / ٥ ، ١ قور٦ / ١١) ان المعتمـد يعـود من الآن الى المسيـح . انـه يلبس المسيـح ، ويصبـح واحـدا معـه ، كمـا يقـول القـديس بولس (غـلاطية ٣ / ٢٧ ، روم ١٣ / ١٤) . وجميع الذين اعتمدوا هم بالفعـل ذاتـه متحـدون فيمـا بينهم في وحـدة المسيح ذاتها (غلاطية ٣ / ٢٨) وجسده الممجد (١ قور١٢ / ١٣ ، افسس ٤ / ٤) . فليسوا من الآن سوى روح واحد مع المسيح (١ قور٦ / ١٧) . فكل معتمد يكون وارثا مع المسيح ويحيا حيـاتـه بعمق ، وهـومدعـوالى مقـاسمـة مجده (روم ٨ / ٢ ، ٩ ، ١٧ ، ٣٠ ، افسس ٢ / ٦) . وبصفتـه اخـا للمسيـح ، فهـويصبـح من ثمـة ابناً يتبنّاه الآب (غلاطية ٤ / ٥) ، وهيكلا للروح القدس (١ قور٦ / ١٩) .

٥ ـ عماد الاطفال

ان العمـاد يفترض اذن الكرازة الانجيلية واقرار الايمان بيسوع المسيح (أع ١٦ / ٣٠) القـائم من بين الامـوات (روم ١٠ / ٩) . الا ان سفـر اعمـال الرسل يظهر ان موضوع الايمان يمكن ان يعرف ضمنا حينما يُعطى الروح قبل العماد (١٠ / ٤٤ـ٤٨) . وبوسع ايمان رب البيت ان يسري الى جميع ذويه ، كما نرى ذلك في قصة قائد المائة كورنيليوس (١٠ / ٤٧) اوقصة السجّان في مدينـة فيلبي (١٦ / ٣٣) ، وفي الممـارسـة الـدائمـة في الكنيسـة بشأن عماد

الاطفال الذين ولدوا من ابوين مسيحيين . ان هذا الايمان جواب على نداء الله الظاهر في الكرازة الانجيلية (روم ١٠/١٤)، هذا الجواب الذي هو عمل النعمة (افسس ٢/٨) وهو اهتداء حقيقي وانضمام الى رسالة المسيح ، وعطاء ذات يغيّر الحياة برمتها .

٦ ـ الاسرار

ليس العماد، شأنه في ذلك شأن سائر الاسرار، وسيلةً سحرية تعمل بنوع آلي . فالكنيسة باسرارها تضمن للمسيحيين حضورا خاصا للمسيح ، من خلال رتب حسية ، مكيّفة مع كائنات من جسد وروح هي نحن ، وهي قادرة على منحنا غنى الخلاص. فالاسرار السبعة هي في الوقت ذاته حركات وكلمات تتيح لنا لقاء حياً بالمسيح اللامنظور. وهي تحقق في الواقع ما تعينه رمزيا . والثمار التي تحملها تعطى ، مثل نعمة ، بارادة المسيح الذي اسسها ، وبنية الكنيسة التي تتقيّد بها . والمؤمن الذي يتلقاها بايمان يلتزم بان يتجاوب بنشاط مع هذه الحياة التي تُمنح له بواسطة عمل الروح القدس . ويقول لنا المجمع الفاتيكاني الثاني : «ان كل المؤمنين بالمسيح المزوّدين بوسائل خلاصية غزيرة وعظيمة ، أياً كان وضعهم وحالهم ، مدعوونَ من الله ، كل حسب طريقته ، الى قداسة تجد كمالها في الآب بالذات» (دستور عقائدي في الكنيسة ، عدد ١١) .

٧ ـ الوثاق مع المسيح

ان الاسرار بطبيعتها العميقة تجعل المسيحي شبيها بالمسيح ، اذ تقيم معه علاقة شخصية حقيقية ، في الظروف الهامة من الحياة ، منذ الولادة حتى الموت . فالعماد يصنع المسيحي ، اي يجعله «كائنا واحدا مع المسيح» ، حسب التعبير القوي الذي استخدمه القديس بولس في الرسالة الى اهل روما (٦/٥) . وكما يقول المجمع الفاتيكاني الثاني : «ان المعمدين بالولادة الجديدة ومسحة الروح القدس يتكرسون ليكونوا بيتا روحيا وكهنوتا مقدسا

يقدّمون، بأعمالهم البشرية المسيحية، الذبائح الروحية، ويشيدون بحمد ذلك الذي دعاهم من الظلمة الى نوره العجيب» (طالع ١ بطرس ٢/٤-١٠= دستور عقائدي في الكنيسة، عدد ١٠).

٨ - الاوخارستيا

ان سر التثبيت يجلب للمعتمد قوة الروح القدس بملئها، لكي يشهد كابن لله ويبني الكنيسة. اما الاوخارستيا فتشمل بسرها معنى الحياة الانسانية كله، وجوهر الايمان كله. انها ملء حياة المسيح التي تُعطى للمسيحي تحت شكل غذاء. فالمسيحيون يؤمنون بهذا السر الجليل ويتغذوّن به، لأن يسوع ذاته قال ذلك: «ان جسدي طعام حقا، ودمي شراب حقا. من اكل جسدي وشرب دمي، اقام فيّ واقمت فيه. وكما انا احيا بالآب الحي الذيْ ارسلني، فكذلك يحيا بي من يأكلني» (يوحنا٦/٥٥-٥٧). فالمسيح يعطينا ذاته حقا طعاما محييا تحت شكلي الخبز والخمر، كما فعل خلال الطعام الاخير الذي تناوله مع تلاميذه يوم خميس الفصح، عشية موته. انه العشاء الاخير الذي خلّده الفنان ليونارد دي فنشي في لوحة ميلانو. فالاوخارستيا هي ذكرى الماضي التي تواصل ذبيحتها في الزمان، وهي طعام الحاضر وعربون الحياة الخالدة، وتعطى للمرضى المخطرين كزوادة اخيرة. فالمسيح المعطى طعاما للبشر يضحي لهم مصدر حياة ومحبة، وطعام الايمان، ومصدر الرجاء، ومحرِّك المحبة. لذا فان جميع المؤمنين يؤكدون ساجدين وشاكرين: «اننا نبشر بموتك، ايها الرب يسوع، ونحتفل بقيامتك، وننتظر مجيئك في المجد»: هذا اعلان وهتاف حقيقي يلي التكريس في القداس.

٩ - التوبة، سر المرضى، الكهنوت

ان التوبة تجلب غفران الرحمة للخاطىء الذي يقر بخطيئته نادما. وبهذا الغفران ينعش الكاهن المرسوم ايمان العماد في سبيل النضال الروحي اليومي. اما سر المرضى اومسحة المرضى، فانه يمنح قوة الروح القدس،

ويتيح للانسان ان يسلم ذاته، مع صلاة الكنيسة، بين يدي الآب، لتهيئة العبور الكبير، مثل المسيح على الصليب: «يا أبت، بين يديك استودع روحي» (لوقا ٢٣ / ٤٤). وسر الكهنوت يصنع الكهنة، المتعاونين مع الاساقفة في مهمة التعليم والتدبير وتقديس شعب الله. والكنيسة تقيم الاوخارستيا بواسطة خدمتهم بصورة خاصة، بينما الاوخارستيا تصنع الكنيسة، وهي لها القلب الحي والمحيي، ومصدر المحبة من جيل الى جيل. اجل، ان الكهنة متعاونون مع الاساقفة الذين هو ذواتهم خلفاء الرسل:

١٠ ـ الاساقفة

«يعلّم المجمع المقدس ان الاساقفة بقوة الوضع الالهي يخلفون الرسل كرعاة الكنيسة، بحيث انه من سمعهم سمع المسيح، ومن احتقرهم احتقر المسيح ومن أرسل المسيح (لوقا ١٠/١٦). وهكذا بشخص الاساقفة الذين يعاونهم الكهنة، هو الرب يسوع المسيح، الحبر الاعظم، الحاضر في وسط المؤمنين... وتعطي السيامة الاسقفية ملء سر الكهنوت... الذي وظائفه لا يمكن أن تمارس الا في الشركة التسلسلية بين رئيس الحلقة واعضائها... ويعود الى الاساقفة ان يُدخِلوا بواسطة سر الكهنوت مختارين جُدداً في الجسم الاسقفي» (دستور عقائدي في الكنيسة، عدد ٢٠، ٢١).

١١ ـ الزواج

ان المجمع ذاته يذكّرنا كيف ان الزواج يمنح الزوجين المسيحيين نعمة المسيح لكي يحققوا مهمتهم كمنجبين ومربّين: «عن اتحادهم تنبثق العائلة حيث يولد اعضاء المجتمع البشري الجدد، الذين يصبحون بالعماد وبنعمة الروح القدس ابناء الله، وهكذا يدوم شعب الله الى مدى الدهور.

ففي هذا البيت الذي هو شبه كنيسة، على الوالدين ان يكونوا لاولادهم بالقول والمثل مبشري الايمان الاولين، وذلك خدمةً لدعوة كل واحد منهم الخاصّة، وبنوع اخص للدعوة المقدسة» (دستور عقائدي في الكنيسة، عدد ١١). فهذا السر يقدس الحبَّ الزوجي، بحيث يجعل منه رمزا حيا لاتحاد المسيح والكنيسة: «ايها الرجال، أحبوا نساءكم، كما احب المسيح الكنيسة وضحّى بنفسه من اجلها» (افسس ٥/٢٥). وقد ذكر البابا بولس السادس في رسالته «الحياة البشرية»، بالصفات الاساسية لهذا الحب الزوجي: ان يكون كلياً واميناً وغير قابل للحل وخصباً. وفي امتداد تعليم سينودس الاساقفة المنعقد في تشرين الاول سنة ١٩٨٠، اشار البابا يوحنا بولس الثاني، في تحريضه الرسولي الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٨١، الى مهام الاسرة المسيحية في هذا العصر، بصفتها جماعة اشخاص في حوار مع الله، في قلب سر الكنيسة، حيث تقوم بمهمة خاصة واصيلة وهي نقل الحياة والقيام بالتربية، وفي الوقت ذاته تشترك في تنمية المجتمع، الذي هي له النواة الاولى الحيوية.

١٢ ـ انسان جديد

هكذا فان المسيحي الذي صار شبيها بالمسيح في الكنيسة باسرار الايمان، وانعشته حياة الله ذاتها التي تجلبها له الاسرار، يحيا حياته اليومية في الايمان والرجاء والمحبة. فهو حقا، حسب تعبير القديس بولس، «انسان جديد يسير الى المعرفة الحقيقية في تجدده المستمر على صورة خالقه» (قول ٣/١٠). واذ يهتم المسيحي بمقاسمة ايمانه مع جميع اخوته، فهو يهتم كذلك بالعمل معهم، سواء كانوا من الكاثوليك ام من المسيحيين، من المؤمنين ام من غير المؤمنين، في بناء مجتمع أخوي.

اؤمن بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا

ان التنشئة المسيحية تسلك طريقا فيه ثلاث مراحل:

العماد ـ وفيه تتم المشاركة في النصر الذي احرزه يسوع على الشر، والترحيب الذي يلقاه المؤمن الجديد في حضن الجماعة المؤمنة.

التثبيت ـ فيه يلتزم المؤمن بقَسَم، ويبدي عزمه الوطيد على العمل في سبيل بنيان الكنيسة جسد المسيح.

الاوخارستيا ـ كل شيء ينضج في الاوخارستيا التي تكوِّن الكنيسة. فيها يتحد المؤمنون ليجعلوا من انفسهم تقدمة مع المسيح السائر معهم على الطريق نحو الآب.

١ ـ ان في التنشئة المسيحية لسر العماد بُعداً مأسوياً يشير الى الصراع والى الانتصار على الشر. انه صراع بين الانانية والحب. والعماد يرمز الى ذلك برتبة الغطس في الماء والارتفاع منه. فكيف يجعل المسيحي من هذه التنشئة منهاجا لحياته؟

٢ ـ المسيحي المعمَّد ينال التثبيت بانتمائه الى كنيسة المسيح، ويتلقى بذلك رسالةً فيها. فما هي علاقة الدعوة بسر التثبيت؟

القديس يوستينس الفيلسوف الشهيد

«. . . ان الذين يؤمنون بحقيقة تعاليمنا وعقيدتنا يَعدون اولا بأن يعيشوا طبقا لهذه العقيدة. عندئذ نعلّمهم ان يصلوا وان يطلبوا من الله بالصوم غفران خطاياهم الماضية، ونحن ايضا نصلي ونصوم معهم. بعدئذ نقودهم الى حيث الماء، وهناك، بنفس الطريقة التي تجدَّدنا نحن بها، يتجددون بدورهم. فيُغسلون اذ ذاك بالماء باسم الله، ابي وسيد كل شيء، وبيسوع المسيح مخلصنا، وبالروح القدس. . . هذه هي العقيدة التي نقلها الينا الرسل في هذا الشأن. . .»

٦ ـ انتظر قيامة الموتى والحياة الجديدة في العالم العتيد. آمين

هذه هي الكلمة الاخيرة في اقرار الايمان المسيحي، وهي شرح طبيعي للحقيقة الكبرى التي جاءت قبلها وهي: «ان المسيح قد قام».

ان صرخة الدهش المفرحة التي تفجرت من قلوب الرسل صارت تعبيرا للايمان المعدي الذي يقوله المسيحيون بعضهم لبعض، اذ يتعانقون مبتهجين في صبيحة عيد القيامة: «لقد قام المسيح!» انه التأكيد الاساسي لقانون الايمان، وبدونه ينهار كل شيء، وبه يثبت كل شيء متماسكا. فالحياة تجد معناها، والالم والموت لم يعودا بعد سوى آثار الخطيئة. والخطيئة ذاتها قد غُفرت ومُحيت، لان محبة المسيح اقوى من حقد البشر، وحياته اقوى من موت الخطيئة. وقد ادرك القديس بولس هذه الحقيقة ادراكا عميقا، هو الذي قال: لولم يكن هذا حقا، لصرنا اشقى الناس اجمعين، ولَعُدنا الى حياتنا المائتة والى قلق وجودنا. الا ان الامر حق. فالمسيح قد قام حقا، وظهر لبطرس وللاثني عشر ولجملة من الشهود، واكل معهم وشرب معهم. ونحن ايضا سنقوم معه.

١ ـ انه حيّ

لقد قام المسيح! وما اكثر الكتب التي وُضعت حول هذه النقطة الاساسية من الايمان، وقد حجب بعضُها او طمس نور هذه الحقيقة الكبرى. فعلينا اذن ان نعود الى الاساسي الذي يمكن التعبير عنه بهذه الكلمات الوجيزة: لقد مات يسوع، ولكنه الآن حي، ولن يموت من بعد. انه هوذاته وليس غيره، هو ابن العذراء مريم، الذي اعلن التطويبات، والذى تجلى على جبل طابور، هو العبد الذي تألم وصُلب على الجلجلة، واضحى جثة هامدة ترقد في القبر. انه هوذاته وليس غيره: هذه هي صرخة مريم المجدلية التي جنّت من فرحها امام الرب الذي يناديها باسمها، وهذه هي صرخة توما الذي كان يرفض ان يؤمن بما لم يكن محتملاً: «ربي والهي!»، وصرخة تلميذي عماوس اذ عرفاه لدى كسر الخبز، وصرخة القديس بولس الذي صُرع

على طريق دمشق. ولا يخطأ المؤرخون الاقدمون حينما يصفون المسيحيين بقولهم: «انهم اناس يؤمنون بشخص اسمه يسوع قد مات، وهم يؤكدون انه حي!»

٢ ـ قيامة الموتى

انتظر قيامة الموتى. انها ليست الفكرة اليونانية عن خلود النفس التي تتخلص بالموت من اربطة الجسد التي كانت تقيدها وكأنها في سجن من لحم، فينجو الروح اذ ذاك وقد تحرر اخيرا من هذا الثقل. كلا! ان قيامة الموتى هي، في نظرة الايمان المسيحي، قيامة الشخص الانساني كله، بالجسد والنفس، في اثر يسوع الذي هو باكورة الراقدين. وقد قلنا سابقا ان انجيل القيامة هو قبل كل شيء شهادة تؤدى لحدث: ان يسوع هذا الذي صلبتموه ومات، اقامه الله، واذا آمنتم به، فهو يجلب لكم الخلاص. هذه هي الخبرة الفصحية التي عليها تأسست الكنيسة في نور الروح القدس. وما اكثر النصوص التي تشهد لهذه الحقيقة، وهي تتزاحم في الذاكرة: التعليم الذي وجهه بطرس الى اليهود (أع ٣/١٤)، اقرار ايمانه امام المجلس (أع ٤/١٠)، تعليم الشماس فيلبس لخازن قنداقة ملكة الحبشة (٨/٣٥)، كرازة بولس لليهود (١٣/٣٣، ١٧/٣) وللوثنيين (١٧/٣١)، اقرار ايمانه امام حكامه (٢٣/٦). ان القيامة التي بها مجَّد الآب ابنه، تضع ختم الله على فعل الفداء المبتدىء بالتجسد والمتحقق بالصليب، وتجعل من يسوع «ربا ومسيحا» (٢/٣٦)، رئيسا ومخلصا (٥/٣١)، ديّاناً وربَّ الاحياء والاموات (١٠/٤٢).

٣ ـ المسيح هو القيامة والحياة

هكذا فان يسوع هو «اول من قام من بين الاموات» (أع ٢٦/٢٣)، واول من دخل الى هذا الكون الجديد الذي هو عالم المفتدين (قول ١/١٨، رؤيا ١/٥). ولكونه «ربَّ المجد» (١ قور ٢/٨)، فهو يمنح الخلاص لجميع الناس ولشعبه بأجمعه (١ بطرس ٢/٩) ويجتذبه وراءه الى الحياة. هذا هو

صميم ايماننا، الايمان بقيامة المسيح، وهويحدونا الى الرجاء بقيامتنا. اذ ان يسوع، كما يقول القديس بولس، قام «وهو بكر الاموات» (١ قور ١٥/٢٠)، وهذه هي ركيزة قيامتنا ايضا. فانه، كما قال هو ذاته، «القيامة والحياة، من آمن به يحيا، وان مات» (يوحنا ١١/٢٥). ولا يني القديس بولس يردد صدى هذه الحقيقة في رسائله: «الذي اقام يسوع المسيح من بين الاموات يُحيي ايضا اجسادكم الفانية بروحه الحالِّ فيكم» (روم ٨/١١، راجع ١ تسا ٤/١٤، ١ قور ٦/١٤، ١٥/١٢-٢٢، ٢ قور ٤/١٤). وهو يعرض ايضا مشهدا كاملا للقيامة العامة اقترضه من الادب الرؤياوي اليهودي. ولكن ما وراء هذه الاقتباسات من الفن الصوري التقليدي، يبرز يقين ثابت: «يكون زرع الجسم بفساد، والقيامة بغير فساد... يقوم الاموات غير فاسدين، ونحن نتبدل. فلا بدَّ لهذا الكائن الفاسد ان يلبس ما ليس بفاسد، ولهذا الكائن الفاني ان يلبس الخلود» (١ قور ١٥/٤٣، ٥٢-٥٣). ان الامر يتعلق بالجسد المادي ذاته وبتغييره السرّي، في نور المجد الذي يشع من جسد المسيح المنبعث والجالس عن يمين الآب.

٤ - الحياة الجديدة في العالم العتيد

ان سفر الرؤيا بدوره يرسم لوحةً أخّاذة لقيامة الاموات (٢٠/١١-١٤). فيسقط الاشرار، كما قلنا، في موت ثانٍ حُكم عليهم به (راجع يوحنا ٥/٢٩. اما الابرار المختارون، فيدخلون الى هذه الحياة الجديدة التي يدعوها قانون ايماننا «الحياة في العالم العتيد» في حضن كون متغير يتمثّل بالفردوس الاول وباورشليم السماوية (رؤيا ٢١-٢٢).

واخيرا ستتحقق الحياة المسيحية بملئها، تلك الحياة التي ابتدأت جزئيا في هذا العالم، كما يشهد لذلك يوحنا الرسول وهو يؤدي الشكر قائلا: «نحن نعلم اننا انتقلنا من الموت الى الحياة» (١ يوحنا ٣/١٤). وما لا يتحقق الا بصورة ناقصة في «آنية خزفية»، سيتجلى في ملء النور، حسب الانشودة التي كتبها بشيء من الحنين القديس بولس في الرسالة الى اهل افسس «تنبَّهْ ايها النائم، وقمْ من بين الاموات، يضيء لك المسيح»

(١٤/٥). هذا هو مصدر رجائنا واليقين الاساسي الذي يهيمن على الحياة كلها. اذ ليس بوسع المسيحي ان يحيا مثل وثني، بل عليه حتما ان يحيا المثل الأعلى الذي ورد في التطويبات، والذي قدّمه لنا المسيح. فالانسان الجديد المخلوق في المسيح يصنع من الآن كلَّ شيء جديداً بقوة الروح القدس، وينجز الامور القديمة ذاتها ولكن بروح جديدة. وبهذا المعنى يقول الرسول: «اما وقد قمتم مع المسيح، فاسعوا الى الامور التي في العلى حيث المسيح قد جلس عن يْمين الله» (قول ٣/١).

٥ ـ فرح وسلام ونور

ان الحياة في العالم العتيد هي للمسيحي الحياة الابدية. اذ ذاك «سيكون الله كلا في الكل» (١ فور ١٥/٢٨)، وسيتحقق الرجاء: «سيكونون له شعبا، والله ـ معهم سيكون لهم الهاً، يكفكف كلَّ دمعة تسيل من عيونهم.

لم يبقَ للموت وجود، ولا للبكاء، ولا للصراخ ولا للألم، لان العالم القديم قد زال» (رؤيا ٢١/٣-٤). وليست السماء وحدها، بل الارض ايضا ستتجدَّد، ومعها الكون كله، وكذلك كل انسان، وقد قام، بعد الدينونة: «الذين عملوا الصالحات، يقومون الى الحياة، اما الذين عملوا السيئات، فيقومون الى الهلاك» (يوحنا ٥/٢٩).

ان هذه الحياة، كما يقول قانون القداس اللاتيني، كلها فرح وسلام ونور، في وجهٍ لوجه مشرق مع الله، في حين ان موسى ذاته اضطر الى اخفاء وجهه، وان بطرس ويعقوب ويوحنا عجزوا عن احتمال اشعاع المسيح المتجلّي. ان الايمان طريق يؤدي الى الحياة: «من آمن بي يحيا، وان مات» (يوحنا ١١/٢٥). لذا فقد تسنى لبولس، هذا الرسول الذي كان قلبه يتأجج شوقا الى المسيح، ان يقول: «نحن نعلم أنّا، ما دمنا مقيمين في هذا الجسد، نظل في دار غربة عن الرب... لذا فنحن نؤثر هجر هذا الجسد لنُقيم في جوار الرب» (٢ قور ٥/٦-٨).

اما حالة النفوس المنفصلة عن اجسادها فليست سوى حالة عابرة . ولن تكون هذه الحالة الكلمة الاخيرة لمحبة الله وقدرته تجاه الذين يحبونه . فان مجد المسيح المنبعث يجب ان يتدفق حتى على جسد مختاريه ، ابان الدينونة الاخيرة التي يمثلها القديس بولس بمجيء المسيح في نهاية الازمنة . لكي يُسلّم الملك لأبيه . وهذا ما نسميه «بعودة المسيح» . اذ ذاك سنحيا في ألفة الرب الكاملة والكلية . اننا لا يسعنا ، والحق يُقال ، ان نتصور نوعية تلك الحياة ، ولكننا نؤمن بها ايمانا وطيدا ، استنادا الى ما قاله المسيح الذي انتصر على الموت : «انا القيامة والحياة . اتؤمن بذلك؟» (يوحنا ١١/٢٦) .

٦ ـ آمين

ان المسيحي ، جوابا على السؤال الاساسي ، يقول : «نعم!» وهذه هي الكلمة الاخيرة في قانون الايمان ، الكلمة التي تؤيد كل ما قيل ، من البدء حتى النهاية ، من التكوين حتى الرؤيا ، من الشروع حتى الاكتمال ، من الخلق حتى الفداء ، والتي توجَز في «نعم» التي يكررها الآب ازليا لابنه في الروح القدس : المحبة!

ان لفظة «آمين» ، الآتية من لفظة عبرية قديمة تشير الى الثبات والرسوخ والاستقرار والأمان ، تعني : ان هذا لصحيح ، ليكنْ هكذا ، اصدّق ذلك بالتأكيد ، حقاً ، بالتأكيد . . . وبوسعنا ان نترجمها الى هذه اللفظة البسيطة «نعم!» : اصدّق ذلك ، اعتبر ما قيل صحيحا ، واطبق معه حياتي ، اؤيد ما قد أعلن ، وأنضم الى ما عُلمته ، وأخضع لما عُرض عليّ ، واكمّل ما طُلبَ مني ، وأحقّق دعوتي وهي ان اكون «نعم» حية ، ما وراء الموت ، لـ «نعم» الله الازلية . . .

٧ ـ المسيح ، «نعم» الله

ان المسيحي ، هنا ايضا واكثر من اي وقت آخر ، هو اخو المسيح ، و«نعم» الله ، الذي هو ذاته «آمين» (اشعيا ٦٥/١٦) . فان الله الذي التزم بالانسان بحرية ، يظل امينا لعهده ، ما وراء خطيئة الانسان . والعلامة ذات

المغزى على ذلك هي حياة ابنه يسوع، الرب، وموته وقيامته، هذه العلامة التي خلفت في التاريخ اثرا لا يُمحى بواسطة الكنيسة. فان «نعم» الله، هو المسيح يسوع، وبه يحافظ الله على التزاماته. فليس في يسوع المسيح نعم ولا، بل كان فيه «نعم» ليس الا (٢ قور ١ / ١٩). ويسوع، الحمل الذبيح، اعطى عن ذلك شهادة حاسمة بذبيحته: انه كلمة الاله الحق، و«نعم» صادقة وسميا، والشاهد الامين الصادق (رؤيا ٣ / ١٤).

لذا، فاننا، اذ نتحد بالمسيح، وتحملنا النعمة التي يمنحنا اياها، ونرتفع، نوعاً ما، بأجنحة روحه، نستطيع نحن ايضا، كما قالت مريم «ليكن» حاسما لملاك البشارة، ان نكون امناء في ذلك الذي هو ذاته «آمين وحده»، لمجد الله (٢ قور ١ / ٢٠). ونحن من الآن نحيا هذا الانتماء البنوي في كنيسة الارض على طرق عماوس جميعها، بالاتحاد مع مختاري السماء (رؤيا ٧/١٢)، ونحن على وعي تام بان المسيح وحده يولينا ان نقول «آمين» هذه.

لذلك، ففي كلمة الآب الاولى هذه، وهي «كلمته» المتجسد، يختتم كلام الله في الكتاب المقدس ويفتتح رجاؤنا، من الزمان شطر الابدية:

«آمين. تعال، أيها الرب يسوع.
فلتكن نعمة ربنا يسوع المسيح معكم اجمعين.
آمين (رؤيا ٢٢ / ٢٠-٢١).

انتظر قيامة الموتى والحياة الجديدة

١ ـ ان مواقف الناس تختلف حول الحياة في العالم الآخر. فمنهم يتهربون من هذه الحياة ومسؤولياتها تحت تأثير روحانية تتسم بالتشاؤم: العالم باطل، وعلينا ان نعمل للحياة الاخرى. ومنهم يعيشون في هذه الحياة وكأن لا شيء بعدها: «لنأكل ونشرب ونتنعم . . .». فما هو الموقف الصحيح، على ضوء قيامة المسيح من بين الاموات؟

٢ ـ ما رأيك في هذا القول: «الموت لا يهمني. فما يزعجني هو ان اترك الحياة». ماذا يوجد خلف هذا التعبير؟

٣ ـ نعلن في قانون الايمان ان يسوع سيأتي: «المجيء الثاني». وليس الايمان علما يكشف لنا عن غوامض المستقبل فينبئنا كيف ستكون نهاية العالم وحياة الانسان بعد الموت. انما الايمان يكشف لنا عن طبيعة الحياة بين الله والانسان. فكيف نفهم هذا «المجيء الثاني» على ضوء قيامة المسيح؟.

٤ ـ يسوع هو «آمين» الله. والمسيحي هو اخ للمسيح، يسير معه نحو الآب. فكيف نعيش حياتنا الحاضرة على ضوء هذه الحقيقة؟

اذا كنا نؤمن بان للحوادث والتاريخ معنى، ونؤمن ايضا بالتطور والثورة، وباصلاح المجتمع وتجديده، وبامكانية الاخوّة في الارض وتحت السماء، فذلك لاننا ننتظر شيئا افضل، اعني السماء الجديدة والارض الجديدة. واذا كنا نكرّس انفسنا، بكل قوانا، لاعمالنا اليومية مهما صغُرت، واذا كنا نعمل بلا هوادة، في سبيل بناء عالم جديد، فلأننا ننتظر اورشليم الجديدة النازلة من عند الله. واذا كانت لنا الشجاعة، في اعمالنا، لنحتمل القيود والاهانات، واذا كانت لنا الشجاعة لتحطيمها، فلأننا، سواء احتملناها او حطّمناها، نؤمن بالتدبير الالهي الذي يقضي بدحر آخر الاعداء وتحطيم اقوى القيود، اعني الموت ذاته.

اللاهوتي كارل بارث

في كتاب «مدخل الى العقيدة الايمانية»

(ص ١٩١)

ملحـــــق

إقرار ايمان البابا بولس السادس(١)

نؤمن باله واحد، الآب والابن والروح القدس، خالق الاشياء المنظورة مثل هذا العالم الذي فيه تجري حياتنا العابرة، وغير المنظورة مثل الارواح المحضة التي تسمى ايضا الملائكة، وخالق النفس الروحية الخالدة في كل انسان.

نؤمن بان هذا الاله الأحد واحد مطلق في ماهيته اللامتناهية في القداسة كما في جميع كمالاته: في قدرته الكلية، وفي علمه اللامتناهي، وفي عنايته، وفي ارادته، وفي محبته. انه هو «الكائن»، كما اوحى ذلك لموسى (خروج ٣/١٤)، وهو «المحبة»، كما يعلّمنا يوحنا الرسول (١ يوحنا ٤/٨): بحيث ان هذين الاسمين، الكائن والمحبة، يعبّران بنوع لا يوصف عن الحقيقة الالهية ذاتها لذاك الذي اراد ان يعرّف نفسه لنا، والذي «مسكنه نور لا يُقترب منه» (١ طيم ٦/١٦) وهو ذاته فوق كل اسم، وفوق كل شيء وكل عقل مخلوق. والله وحده يستطيع ان يعطينا معرفته الصحيحة والتامة اذ يوحي ذاته مثل الآب والابن والروح القدس. ونحن بالنعمة مدعوون الى

---

(١) ـ اننا لم نورد مقدمة هذا الاقرار. وكان البابا بولس السادس يقدم فيها هذه الصيغة، ليس كتحديد عقائدي بحصر المعنى، بل كاقرار ايمان صادر عن خليفة بطرس، راعي الكنيسة الجامعة، باسم شعب الله كله، و[illegible] شهادة ثابتة للحقيقة المعطاة والمودعة الى الكنيسة لكي تعلنها لجميع الامم».

مقاسمة حياته الازلية، ههنا في ظلمة الايمان، وبعد الموت في النور الازلي. ان الرُبُط المتبادلة المكوِّنة أزلياً للاشخاص الثلاثة الذين كل منهم هو كائن الهي وحده وعينه، هي الحياة السعيدة والحميمة لله المثلث التقاديس، والى ما لا نهاية لكل ما يمكننا ادراكه بمقياسنا البشري. ولكننا نؤدي الحمد لجودة الله على ان يستطيع كثيرون من المؤمنين ان يشهدوا معنا امام الناس لوحدانية الله، وان كانوا لا يعرفون سر الثالوث الاقدس.

اننا نؤمن اذن بالآب الذي يَلد الابن ازليا، وبالابن، كلمة الله، المولود من الازل، وبالروح القدس، وهو شخص غير مخلوق ينبثق من الآب ومن الابن كمحبتهما الازلية. وهكذا ففي الاشخاص الالهية الثلاثة، المتساوين في الازلية، يفيض ويكمل، في السمو والمجد الخاصين بالكائن غير المخلوق، ملء حياة الله الواحد وسعادته. وعلينا ان نكرّم دوما الوحدة في الثالوث، والثالوث في الوحدة.

نؤمن بربنا يسوع المسيح الذي هو ابن الله. انه الكلمة الازلي، المولود من الآب قبل كل الدهور والمساوي للآب في الجوهر، والذي به صار كل شيء. انه تجسد بعمل الروح القدس في احشاء العذراء مريم وصار انسانا. فهو اذن مساوٍ للآب حسب اللاهوت، وأدنى من الآب حسب الناسوت، وهو واحد في ذاته، ليس بنوع من المزج المستحيل للطبيعتين، بل بوحدة الشخص.

انه سكن بيننا، مملوءاً نعمة وحقا. واعلن وافتتح ملكوت الله، وجعلنا نعرف الآب به. واعطانا وصيته الجديدة بان نحب بعضنا بعضاً كما احبنا هو. وعلّمنا طريق التطويبات في الانجيل: الفقر بالروح، الوداعة، الالم المحتمل بالصبر، العطش الى العدالة، الرحمة، نقاء القلب، ارادة السلام،

الاضطهـاد المحتمـل في سبيل البر. . . وتألم في عهد بيلاطس البنطي، هو حمـل الله الـذي حمل على ذاته خطايا العالم، ومات لاجلنا على الصليب، وخلّصنا بدمه الفادي. ودُفن، وبسلطته الخاصة قام في اليوم الثالث، ورفعنا بقيامته الى مقاسمة الحياة الالهية التي هي حياة النعمة. وصعد الى السماء. وسيأتي من جديد، في المجد هذه المرة، لكي يدين الاحياء والاموات: كلا حسب استحقاقاته، فالذين تجاوبوا مع محبة الله ورأفته سيذهبون الى الحياة الابدية، والذين رفضوهما حتى النهاية، سيذهبون الى النار التي لا تنطفىء. ولن يكون لمُلكه انقضاء.

نؤمن بالروح القدس الرب المحيي، الذي يُسجد له ويُمجَّد مع الآب والابن. وقد كلّمنا بالانبياء، وقد ارسله يسوع المسيح الينا بعد قيامته وصعوده عنـد الآب. وهـو ينير الكنيسة ويحييها ويحميها ويقودها، ويطهّر اعضاءها ان لم يتهـربـوا من نعمتـه. وعمله الذي ينفذ الى اعماق النفس، يجعل الانسان قادرا على الجواب على نداء يسوع: «كونوا كاملين، كما ان اباكم السماوي هو كامل» (متى ٥/٤٨).

نؤمن ان مريم هي الام الـدائمـة البتـوليـة للكلمـة المتجسِّـد، الهنـا ومخلّصنـا يسـوع المسيـح، وانهـا بسبب هذا الاختيـار الفـريد، وبالنظر الى استحقـاقـات ابنهـا، افتُـديت بطريقة سامية، وحُفظت من كل دنس الخطيئة الاصلية، وغُمرت بهبة النعمة اكثر من الخلائق الأخرى كلها.

ولكـون العـذراء القـديسـة مريم الطـاهـرة مشتـركة في سري التجسد والفداء برباط وثيق لا ينفصم: فانها في ختام حياتها الارضية، رُفعت بالجسد والنفس الى المجـد السمـاوي، وتشبهت بابنهـا المنبعث، مستبقـة المصير العتيـد لجميـع الابـرار. ونؤمن بان والـدة الله الكليـة القـداسـة، وهي حواء الجديدة وام الكنيسة، تواصل دورها الوالدي تجاه اعضاء المسيح، بالتعاون في ولادة الحياة الالهية ونموّها في نفوس المفتدين.

نؤمن بان الجميع اخطأوا بآدم، وهذا يعني ان الخطيئة الأصلية التي اقترفها أسقطت الطبيعة البشرية، المشتركة لجميع الناس، في حالة فيها تحمل نتائج هذه الخطيئة، وهي ليست الحالة التي كانت فيها عند البدء في ابوينا الاولين، اللذين كانا قائمين في القداسة والبرارة، حيث لم يكن الانسان يعرف الشر ولا الموت. انما الطبيعة البشرية الساقطة هكذا، والمجردة من النعمة التي كانت توشحها والمجروحة في قواها الطبيعية الخاصة، والخاضعة لسلطان الموت، هي التي تُنقل الى جميع الناس، وبهذا المعنى كل انسان يولد في الخطيئة.

اننا نؤيد اذن، مع المجمع التريدنتيني، ان الخطيئة الاصلية تُنقل مع الطبيعة البشرية، «ليس بالاقتداء، بل بالانتشار»، وهي هكذا «خاصة بكل واحد».

نؤمن بان ربنا يسوع المسيح، بذبيحة الصليب، افتدانا من الخطيئة الاصلية ومن جميع الخطايا الشخصية التي اقترفها كل منا، بحيث انه، كما يقول الرسول، «حيث كثُرت الخطيئة، فاضت النعمة» (روم ٥/ ٢٠).

نؤمن بمعمودية واحدة أسسها ربّنا يسوع المسيح لغفران الخطايا. ويجب ان يُعطى العماد حتى للاولاد الصغار الذين ما يزالون غير قادرين على ان يكونوا مذنبين بأية خطيئة شخصية، لكي يتسنى لهم، وقد وُلدوا محرومين من النعمة فائقة الطبيعة، ان يولدوا من جديد «من الماء والروح القدس» للحياة الالهية في يسوع المسيح.

نؤمن بكنيسة واحدة، مقدسة، جامعة، ورسولية، أسسها يسوع المسيح على الصخر الذي هو بطرس. انها جسد المسيح السري، وهي في الوقت ذاته جمعية منظورة مكوَّنة من اعضاء متنوعة ومتسلسلة، وجماعة روحية. انها الكنيسة الارضية وشعب الله في مسيرته الارضية، وهي الكنيسة المغمورة بالخيرات السماوية. انها بذرة وباكورة ملكوت الله، الذي به يتواصل عمل الفداء وآلامه طوال التاريخ البشري، والذي يرمي الى تحقيقه الكامل ما وراء الزمان في المجد. وخلال الزمان، يثقّف الربّ يسوع كنيسته

بالاسرارالتي تنبثق من ملئه. فبالاسرار تجعل الكنيسة اعضاءها مشاركين في سر موت المسيح وقيامته، في نعمة الروح القدس الذي يوليها الحياة والعمل. فهي اذن مقدسة، مع كونها تضمّ خطأة في حضنها، اذ ليس لها حياة اخرى سوى حياة النعمة. واذ يعيش اعضاؤها من حياتها فانهم يتقدسون، ولدى انسحابهم من حياتها يسقطون في الخطايا والانحرافات التي تمنع اشعاع قداستها. لذا فانها تتألم وتتوب وفاء عن هذه الاخطاء التي لها السلطة لتشفي منها اولادها بدم المسيح وهبةِ الروح القدس.

انها وريثة الوعود الالهية وابنة ابراهيم بالروح، بهذا الشعب الذي تحفظ كتبه بمحبة وتكرّم آباءه وانبياءه. انها مؤسَّسة على الرسل، وتنقل من دهر الى دهر كلامهم الحي دوما وسلطاتهم الراعوية في خليفة بطرس والاساقفة الذين هم في الشركة معه. ان الروح يؤازرها دوما، وهي مكلفة بان تحفظ وتعلّم وتشرح وتنشر الحقيقة التي أوحى بها الله بنوع محتجب بواسطة الانبياء، وبنوع تام بالرب يسوع. نؤمن بكل ما يحتويه كلام الله المكتوب والمنقول، والذي تعرضه الكنيسة لايماننا كوحي الهي، وذلك سواء بحكم رسمي اوبالسلطة التعليمية الاعتيادية والشاملة. نؤمن بالعصمة التي ينعم بها خليفة بطرس حينما يعلّم «من على المنبر» (رسميا)، بصفته راعي جميع المؤمنين ومعلمهم. وهذه العصمة مضمونة ايضا لمصافّ الاساقفة حينما يمارسون السلطة التعليمية العليا في الوحدة مع البابا.

نؤمن بان الكنيسة التي أسسها يسوع المسيح، والتي من اجلها صلى، هي واحدة على الدوام في الايمان والعبادة ووثاق الشركة المتسلسلة. وفي حضن هذه الكنيسة، ليس غنى تنوع الطقوس الليتورجية والاختلاف المشروع في التراثات اللاهوتية والروحية والقوانين الخاصة لِيُلحق ضرراً بوحدتها، بل لِيُظهرها بأجلى صورة.

واذ نعترف ايضا بأن خارج عضوية كنيسة المسيح عناصر كثيرة من الحقيقة والتقديس التي تعود اليها بنوع خاص وهي تمتد نحو الوحدة الجامعة، ونؤمن بعمل الروح القدس الذي يثير في قلب تلاميذ المسيح محبة

هذه الوحدة، لنا الرجاء بان المسيحيين الذين ليسوا بعد في الشركة التامة مع الكنيسة الوحيدة سيجتمعون يوما في قطيع واحد مع راعٍ واحد.

نؤمن بان الكنيسة ضرورية للخلاص، لان المسيح الوسيط والطريق الوحيد للخلاص يجعل نفسه حاضرا لنا في جسده الذي هو الكنيسة، الا ان تصميم الله الخلاصي يضمّ جميع البشر. والذين، دون ذنب منهم، يجهلون انجيل المسيح وكنيسته، ولكنهم يبحثون عن الله بنزاهة، ويحاولون، تحت تأثير النعمة الخفية، ان يحققوا ارادته المعروفة بايعازات ضميرهم، فهؤلاء، الذين الله وحده يعرف عددهم، يمكنهم ان يحصلوا على الخلاص.

نؤمن بان القداس الذي يقيمه الكاهن الذي يمثّل شخص المسيح بقوة السلطة التي تلقاها بسر الكهنوت، والذي يقدمه باسم المسيح واعضاء جسده السري، هو ذبيحة الجلجلة التي تصبح حاضرة سرّياً على مذابحنا. نؤمن بأنه، كما ان الخبز والخمر المكرّسين بيد الرب في العشاء الاخير المقدس قد تحوّلا الى جسده والى دمه اللذين كانا سيُقدمان لأجلنا على الصليب، كذلك الخبز والخمر اللذان يكرّسهما الكاهن يتحوّلان الى جسد والى دم المسيح الممجَّد والجالس في السماء. ونؤمن بأن الحضور السري، تحْت ما يستمرّ ظاهرياً لحواسنا كما كان من قبل التكريس، هو حضور حقيقي وواقعي وجوهري.

فلا يستطيع المسيح ان يكون حاضرا في هذا السر الا بتحويل حقيقة الخبز ذاتها الى جسده، وبتحويل حقيقة الخمر ذاتها الى دمه، مع بقاء خواص الخبز والخمر التي تراها حواسنا غير متغيّرة وحدها. ان هذا التغيير السري، تدعوه الكنيسة بنوع متخصص «الاستحالة الجوهرية». وكل شرح لاهوتي يبحث عن فهم شيء من هذا السر، عليه، ليكون متوافقا مع الايمان الكاثوليكي، ان يتمسك بان في الحقيقة ذاتها المستقلة عن فكرنا، كفّ الخبز والخمر عن الوجود بعد التكريس، بحيث ان جسد الرب يسوع ودمه المسجودين هما اللذان من ثمة حقيقة امامنا تحت الاشكال السرّية للخبز

والخمر، كما اراده الرب، ليمنح لنا ذاته طعاماً وليُشركنا في وحدة جسده السري.

ان الوجود الوحيد وغير المنقسم، وجود الرب المجيد في السماء، لا يُكثَّر، بل يكون حاضرا بالسر في مختلف اماكن الارض حيثما تُقام الذبيحة الالهية. ويظل هذا الوجود حاضرا بعد الذبيحة الالهية، في القربان الاقدس الذي هو، في بيت القربان، القلب النابض لكل من كنائسنا. وانه لواجب لنا عذب الى الغاية ان نجلّ ونسجد، في البرشانة المقدسة التي تراها اعيننا، الكلمةَ المتجسّد الذي لا تراه، والذي، دون ان يترك السماء، جعل ذاته حاضراً امامنا.

نعترف بان ملكوت الله المبتدىء ههنا في كنيسة المسيح ليس من هذا العالم الذي يزول شكله، وبأن نموّه الخاص لا يمكن ان يختلط بتقدم الحضارة او العلم او التقنية البشرية، بل يتوقف على ان نعرف دوما بنوع اعمق غنى المسيح الذي لا يُفحص، وان نرجو بنوع أشدّ دوما الخيرات الابدية، وان نجاوب دوما بمزيد من الحرارة على محبة الله، وان ننشر دوما بنوع أوسع النعمةَ والقداسة بين البشر. الا ان هذه المحبة ذاتها هي التي تحمل الكنيسة على الاهتمام دوماً بالخير الزمني الحقيقي للبشر. فهي لا تفتأ تذكّر ابناءها بأنه ليس لهم ههنا مسكن باقٍ، وتحرّضهم على ان يساهموا، كلّ حسب دعوته ووسائله، في خير مدينتهم الأرضية، وان يعملوا على تحقيق العدالة والسلام والاخوّة بين الناس، وان يبذلوا مساعدتهم لاخوتهم، ولا سيما للذين منهم هم الاكثر فقراً وبؤساً. ان الاهتمام المكثّف الذي تبديه الكنيسة، عروس المسيح، باحتياجات البشر وبافراحهم وامانيهم وشدائدهم وجهودهم، ان هو الا شوقها الشديد الى ان تكون حاضرة لهم لكي تُنيرهم بنور المسيح، ولكي تجمعهم كلهم فيه، هو مخلّصهم الأوحد. ولا يعني هذا الاهتمام قط ان الكنيسة تساير امور هذا العالم، ولا ان الانتظار الحارَّ يتضاءل فيها تجاه ربّها والملكوت الابدي.

نؤمن بالحيـاة الابـديـة . نؤمن بان نفوس جميع الذين يموتون في نعمة المسيح ، سواء كان عليها ان تتطهر بعد في المطهر، او انها منذ اللحظة التي فيهـا تغـادر اجسـادهـا يأخذها يسوع الى الفردوس ، كما فعل للص اليميني ، هي شعب الله في ما وراء الموت الذي سيُغلب نهائياً يوم القيامة العامة ، حيث ستضمّ هذه النفوس الى اجسادها .

نؤمن بان جمهـور النفوس المجتمعة حول يسوع ومريم في الفردوس ، تشكّل كنيسة السماء ، حيث ترى الله كما هو في السعادة الابدية ، وحيث هي ايضـا ، حسب درجـات مختلفة ، مشتركة مع الملائكة القديسين ، في التدبير الالهي الـذي يمـارسـه المسيـح في المجـد ، وذلـك بالتشفع فينا وبمساعدة ضعفنا باهتمامها الأخوي بنا .

نؤمن بشركة جميع المؤمنين بالمسيح ، اولئك الذين ما يزالون سائرين في الارض ، والمـوتى الـذين يقضـون زمـان تطهيـرهم ، والطـوبـاويين في السمـاء . فجميعهم معـاً يشكّلون كنيسةً واحدة . ونؤمن بأن في هذه الشركة ، تصغي محبة الله الرحيمة ومحبة قديسيه دوما الى صلواتنا ، كما قال لنا يسوع : «اطلبـوا تنـالـوا» . لذا فاننـا بالايمـان وفي الـرجـاء ننتظر قيامة الموتى والحياة الجديدة في العالم العتيد .

تبارك الله مثلَّث التقاديس . آمين .

من كنيسة الفاتيكان الكبرى
في ٣٠ حزيران سنة ١٩٦٨
البابا بولس السادس

الفهـــــرس

المقـــدمة	٣
الفصل الاول : ما الايمان ؟	٥
الفصل الثاني : ادراك الايمان	٢٥
الفصل الثالث : حياة الايمان	٣٧
١ ـ الأخلاق المسيحية	٣٧
٢ ـ المسيحي رجل الرجاء	٤٩
الفصل الرابع : ايمان الكنيسة	٥٧
١ ـ اؤمن باله واحد، الاب الضابط الكل	٦٢
٢ ـ اؤمن بيسوع المسيح	٦٨
٣ ـ اؤمن بالروح القدس	٨٤
٤ ـ أؤمن بالكنيسة	٩٢
٥ ـ اقر بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا	١٠٦
٦ ـ انتظر قيامة الموتى ...	١١٤
ملحق : اقرار ايمان البابا بولس السادس	١٢١

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٩٠٠ لسنة ١٩٨٧

المحتويات

[illegible] ٣

[illegible] ٥

[illegible] ٢٥

[illegible] ٢٧

[illegible] ٣٧

[illegible] ٤٩

[illegible] ٥٩

[illegible] ٦٣

[illegible] ٦٨

[illegible] ٨٨

[illegible] ٩٣

[illegible] ١٠٩

[illegible] ١١١

[illegible] ١٢٩

ماذا اعرف عن

إيماني المسيحي

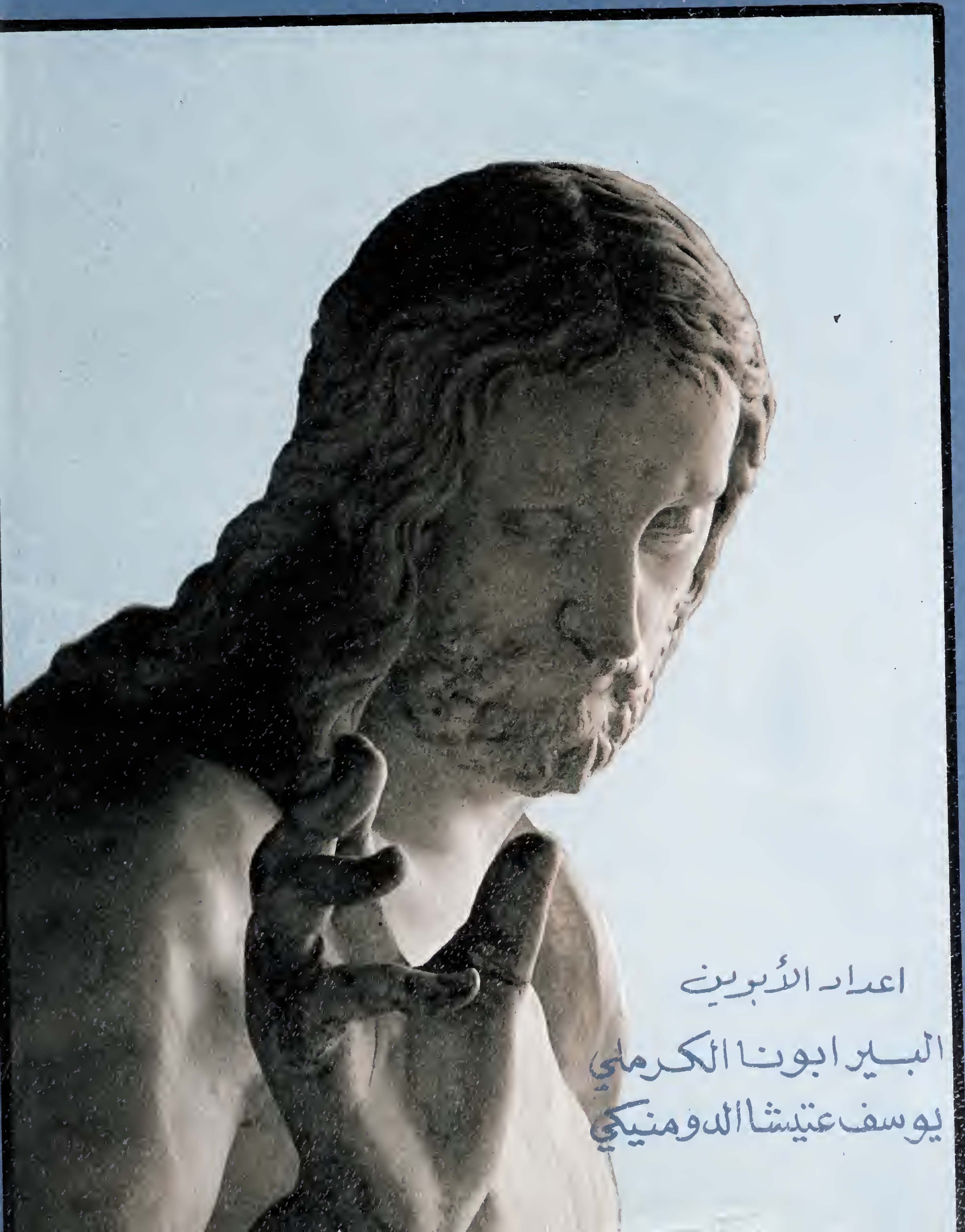

اعداد الأبوين

البير ابونا الكرملي

يوسف عتيشا الدومنيكي